إلكترو..مانسي

مجموعة قصصية

نادية كيلاني

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كيلاني ، نادية

الكترو ماتسي / نادية كيلاني .ـ ط٢ .ـ القاهرة: نادية كيلاني ، ٢٠١٨.

ص ١٤٨ ؛ ٢١سم.

تدمك ٤ـ ٤٦٧٥ ـ ٩٠ ـ ٩٧٧ـ ٩٧٨

١ـ القصص العربية القصيرة .

أ ـ العنوان .

٨١٣,٠١

رقم الإيداع

١٩٣١٩/ ٢٠١٨

لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين

ولكن من كل جحر مرة

وما أكثر الجحور الفيسبوكية !!

نادية كيلاني

إهـداء

الرومانسية الإلكترونية لغة العصر.. فإذا ما جلستَ إلى العالم الافتراضي فأنت رهن الظروف.. إما منًا وإما فداء..
إما نجاحًا وإما فشلا.. بحسب التيار الكهربائي.
لذلك أهدي كتابي هذا، الذي يضم قصصًا
من وحي النت إلى أحفادي؛ فهم
الجيل الذي ينتمي إلى هذا
العالم الافتراضي.

أرامل الليل

تسلل من سريرِ زوجته بعدَ منتصَف اللَّيل، تعرف أين يذهب، لَمَّا، اطمأنَّتْ أنَّه قد استقرَّ أمامَ حاسوبه، وبدأ في البحث عن حبيبته قامَتْ وأخرجَتْ حاسوبها من مكْمَنه القريب،

هو في غرفة الصالون أمامَ "اللاب توب"، وهي في سَريرها أمامَ جهازها، لم يكن هناك ولا هنا مِن ضوْء سوى ضوءِ شاشتي الجهازين المنعكِس لكلٍّ منهما على وجهِ صاحبِه، بدأ قلبُه في الخَفَقان عندما ظهَر تعريفها أمامَه، بادرها بشغَف:

- تأخَّرتِ يا حبيبتي، ما عدتُ قادرًا على غيابك.
- ولا أنا.
- اشتقتُ إليك كثيرا، وكم تمنَّيت رُؤيتَك.
- قلتُ لك: لن تندمَ، ستكتشِفُ أنَّني اختيارُك لو عادَ بكَ الزمن.
- إلى هذا الحدِّ أنتَ جميلة؟!
- نعم، وما زلتُ جميلة، لكنَّ زَوْجي يتجاهَلُني.
- إنَّه غبيٌّ.
- غبي فعلا، لقد جعَلَني أرملةً رغمَ وجوده.

– دَعينا منه، وهيا نُفرغ طاقاتِنا المختزَنة بسبب عدمِ التوفيق في زِيجاتنا.

– ولا يُقدِّر جهْدي مع أطفالي الثلاثة.

– لا تُذكِّريني بأطفالي الثلاثة؛ فهم مسؤوليَّة وهَمٌّ كبير.

– انسَ الهمَّ ما دمتَ مَعي، الآن هيا إلى الحبِّ.

– تعرفين كيف تَجذبينني إليك، وتَجعلينني متعلقًا بكِ إلى حدِّ الهوس.

– ألاَ تَجْذبك زَوجتُك؟!

– لا، هي ليستْ في رِقَّتك ودَلعك، لكني أغضبُ منك كثيرًا في نهاية كل مكالمة حين ترفُضين أن أُحقِّق معك أحلامي.

– إنِّني أذنب بالتحدُّث معك، فأقِف عند حدٍّ أُطيقه، أكثر مِن هذا عبءٌ على ضميري.

– جَرِّبي يا حبيبتي–ولو مرَّة– ستشعُرين بسعادةٍ كبيرة، الحب بالإنترنت جذَّاب جدًّا.

– أنتَ جربْتَه إذًا؟!

– حدَث؛ ولكنَّك نهايةُ المطاف، وأتمنَّى أن أتزوَّجك.

– لماذا أنا نهاية المطاف؟

– أعْتَرِفُ أنَّكِ غير كل النِّساء.

- ألاَ تخشَى إذا عرفْتَني في الحقيقة أكون غيرَ ما أنا في الخيال؟
- أبدًا، أبدًا، متأكّد أنّك في الحقيقة أجملُ مِن الخيال.
- وأنا أعدُك ألاَّ أخذلَك.
- إذًا؛ ستُريننِي نفْسك بالكاميرا.
- نعم، وسأُقابلك بعدَما أحوزَ إعجابَك.
- هيًّا الآن.
- ليس الآن، بل غدًا.
- لماذا ليس الآن، أنا متشوّق جدًّا.
- كي أستعدَّ، لا أُخفي عليك، سأذْهَب إلى الكوافير، كيف تحبُّ أن ترَى لوْنَ شعري؟
- هل هو أصفَر؟
- سأجْعَله لك أصفر، وماذا أيضًا؟
- وقصيرًا مثلَ الأجانب.
- غريب هذا! الرِّجال يُفضّلون الشعرَ الطويل.
- ألم أقُلْ: إنّك مختلفة.
- آه فعْلاً، لذلك اختلفت أنت أيضًا.
- حتَّى أليق بكِ يا حلوةَ الحلوات.
- وماذا تُريدني أن ألْبَس؟

- طبعًا ثوبًا مكشوفًا، وقصيرًا، أُريد أن أرَى كلَّ مفاتنِك.
- سأرتديه مكشوفا وقصيرا.
- لقد حَركتِ كلَّ مشاعري.
- لا، أنت الآن خَطَر سأنسحب فورا، إلى اللِّقاء غدًا.
- انتظري، انتظري، لمن تتركيتني؟!
- إلى زوْجتِك.

أغلقتْ الحاسوب، وبِسُرْعة وضعتْه تحتَ السرير، ونهضتْ خارجةً من الغُرْفة، اصطدمتْ به، سألَها:

- ماذا أيْقَظك؟!
- أذهبُ إلى الحمَّام.
- حسنًا سأنتظرك.

تركتْه ليومين يبْحَث عنها، يومًا ذهبت إلى محلاَّت الأزياء تبتاع ثوبًا مكشوفًا وقصيرًا بشكلٍ لم يعرْفه في ملابسها، واليوم الثاني أمْضتْه عندَ الكوافير تقصُّ شعرَها وتصبغُه أصفر.

في اللَّيْل عندما دخَل غرفتَه التفت ناحيةَ العِطر الفوَّاح فتسمَّر أمامَها!

وهي في شَعْرها الأصْفَر وثَوْبها الرُّوز، تَردَّد قليلًا قبل أن يسألَها:

- هل قصصتِ شعرَك؟!

- نعم، وصبغتُه أيضا، ما رأيُك؟

- كيف تَقصّين شعرك دون إذني؛ تعلمين إنّني أُفضّل الشّعر الطويل.

- سيطول مَرّةً أخرى.

- ولكن.

- تغيير، أردتُ أن أكونَ مِثلَ الأجانب.

- وما هذا الثوبُ الفاضِح؟!

- وهل يَراني به أحدٌ غيرك؟!

-.....

- قل بالله عليك: أليس جميلًا؟!

دارَ حولَها، وقال:

- بلى، جميل، تبسّم، وقال:

- تذكرتُ أنّ لديَّ عملاً على الكمبيوتر، سأقوم به، ثم أنام، تُصبحين على خيْر.

خرَج مِنَ الغُرْفة مسرعًا موجها لهدفه.. فتَحَ حاسوبه بعصبيَّة وتوتُّر، وهو يُحدّث نفسَه: "أين ذهبتْ هذه؟! يا الله، صاحَ، حين وجدَها!":

– أيْنَ أنتِ حبيبتي؟

– كنتُ أستعدُّ لك، فعلتُ كما اتفقْنا.

– يَعْني حانتِ اللحظة التي سأراكِ فيها.

– نَعمْ، بكلِّ تأكيد، افتحِ الكاميرا الآن.

تسمَّر أمامَ الشاشة، من أنت؟! ماذا أرَى!، جرَى إلى غُرْفَتِه؟! رآها في سَريرِها أمام حسوبها بشعْرِها الأصفر، وثوْبِها الرُّوز، وتفوق عنِ الأُخرى بعِطرِها الفوَّاح.

**

(نشرت بموقع الألوكة (٢١ / ١٠ / ٢٠١٠)
(ومجلة القصة وحواء(١٥ / ١٠/ ٢٠١١)
(ومجلة (حسمي، النادي الأدبي تبوك ٢٠١١)

يا لك من أخ

سنلتَقِي، أُقسِم أنَّنا سنلتَقِي، منذ أنْ قلت لي: سوف تأتي، وأنا أشعُر أنَّني سألقاك.. على أرضِي، على أرضك، في الحياة الأخرى، سنلتَقِي.

منذ أن عرفتك عن طريق وسيلَة التعارُف الجديدة "الشبكة العنكبوتيَّة"، وأنا أشعُر بك وبقربك وبقدومك القريب.. هي شبكةٌ أدخلَتْنِي عالمها، ولفتني بخيوطها العنكبوتيَّة فلا سبيل للفكاك منها.

ولكنَّا لا نريد فِكاكًا، مُنصَهِران في جوفها، مُعتَكِفان بداخلها، مُؤمِنان بمنهجها.

شيء خيال من وَراء الخيال، من وراء العقل، لا يُمكِن لأحدنا أنْ يُقاوِم هذا السِّحر، وهذا الشِّعر، وهذا الفرح، وهذا التخيُّل الجنوني.

أحبُّك، قلتُها لك ألف مرَّة، حكيت لي كلَّ ظروفك، أنتَظِرك مهما طال العمر، متزوِّج نعم.. عندك البنون والبنات نعم.. وماذا ينقصك؟

– أنا شاعر متَّقِد الرُّوح، متمرِّد القلب، أشياء كثيرة أحتاجُها من الأنثى التي أرتبط بها، مَن تستَوعِبها تكون هي؟!

ويالا حظي.. كنت أنا.

اشتَعلت الجذوة.. كلَّ يومٍ تشتَعِل.. ويَزِيد اشتعالها، وإذا باللهب يَتطايَر.. من مصر إلى فلسطين، من غزَّة إلى القاهِرة، فما يُجدِي الصبر، وما ينفَع العقل، وكيف يكون التصبُّر؟ رجال الإطفاء أنفُسُهم لا يستَطِيعون بخراطيمهم الضخْمة ومياههم الغزِيرَة إطفاءَ النار في الحال، لا بُدَّ من الوقت، ومن الصبر، ومن الأنَاة.

غنَّاني شعرًا، وغنَّيتُه نبضًا، نثرني على صفحات "الماسنجر"، ونثرته وردًا وحبًّا، ولما فاضَ كيله أعلَنَها: قادِمٌ إليك لتتمَّ فرحتي.

– وماذا تفعل بالزوجة والأولاد؟!

– أؤمري؟

يااااه، عذاب آخَر فوق العذاب! أأطلب أنْ يتخلَّى عنهم ويموت ضميري! لا أقبَل أنْ أحرق كلَّ هذه القلوب من أجل قلبي.

– وقلبي أنا.

يا إلهي! زوجة ثانية.. وهل كنت أتخيَّل هذا يوما؟!

أنا المدلَّلة عند أهلي.. أنا التي طلبني أفضلُ الشباب في بلدي أكون زوجةً ثانيةً في بلدٍ آخَر.

أين ما كنتُ عليه من إباء؟! الآن أرضَى بنصف رجل رغم أنَّه كلُّ الحب.

وعمري الذي ضاعَ في انتظاره.. ومَن رفضتُهم فيهم مَنْ يَفُوقُه وسامةً، وثقافة، وثراء، وفوقَ كلِّ هذا خلوهم من المسئوليَّات! يا ربي، أأنتَ كتبتَ هذا الشَّقاء عليَّ أم شيطاني استدرَجَني؟

لِمَ خصصتَني بهذا المصير المأزوم؟ ألأنَّني لم أتَّبع منهجك، ولم أسدَّ باب الذرائع؟! فتحتُ على نفسي أبوابَ جهنَّم!

جهنَّم في الدنيا، فهل يجتمع عليَّ ناران: الدنيا والآخِرة؟!

ما العمل يا رب العالمين؟ إنَّه في الطريق؛ فتحت حدوده ومنطلقٌ الآن بحقيبته، قادمٌ بشوقه، تَسبِقه لهفته! يا رب، ما العمل؟! كيف سيصل إليَّ؟! مَن سيكون في استقباله؟! وكيف أقدمه لأهلي، أنقذني يا إلهي!.

يا لها من فكرة خطيرة!.. أخي؛ كم من مرَّة عرَض عليَّ المساعدة، وردَّد:

- إذا شعرتِ بأنَّني أخوك فاحكِ لي.

يبدو أنّه كان يَشعُر بما أُعانِية، كلّما رفضت شابا لا يُـرفَض يُكرِّر كلامه.. حان الوقت إذن، لابد أن أحكي له الآن، أيوجـد غيره يذهب ليُقابله ويأتي به إلى البيت، ويُقدّمه لأبـي ويُـدارِي عليّ، ويُؤيّد طلَبَه قبلما يأخذ أبي فرصةً للتفكير!!

والأهمُّ أنْ أكون بعيدةً لا يشكُّ أحـدٌ بـأمري، وكـأنّني أراه ويَراني لأوّل مرّة، هي فعلاً أوّل مرّة، وهل تَبادُل الصُّوَر يُغنِي ويُعَدُّ مشاهدةً؟! كم أحببتُ صورته وعشق صورتي!

هو قادمٌ من أجل أن يجمع الصورتين في إطار واحدةٍ مزيَّنة بفرحة الأهل.. أهلي سيُرحِّبون بمساعدة أخي، حتى وإنْ عرفوا فيما بعدُ أنهم أُرغِمُوا على الموافقة، أمّا إذا رفَضُوا فسأُهدّد بترك البيت.. ربما بالانتحار.. ربما بالزواج رغمًا عـنهم.. ربمـا.. وربما.. أي تهديدٍ يُخِيفهم مِنّي عليّ ويجعَلُهـم يُوافِقـون رغـم ظروفه.

قال أخي: أحتاج لكلّ التفاصيل.

إصغاؤه شجَّعني على الاسترسال، وبكلّ جوارحه اسـتَوعبَنِي، وقف على القصّة من بدايتها لنهايتها.

وقَف على كل التفاصيل، تعرَّف على الجمـل الرئيسـة فـي حواراتنا، والأيقـونات التي نَتبادَلُها، فـرحت جِدًّا باهتِمام أخي

فاسترسلت، وفتحت له صفحتي معه ليطلع عليها.

صحيح، إنَّه الأخ! مَن غير الأخ للبنت؟! هو سنَدِي في الحياة، وبئر أسراري، عُكَّازي وهنائي وكل ما لي.. وهو الذي سيزفُني إليه.. وهو.. وهو.

قال أخي بعدما سمع واستوعب وقرأ: لا مانع، متى الوصول؟!

ذهب أخي وبقيت بالبيت أنتظره، باللهفة بالشَّوْق أنتظره، أستَرجِع حواراتنا المكتوبة وأنتظره.. طال الوقت، وفقدت القدرة على الانتظار.

رَنَّ التليفون، صوت أخي.

– اطمئنِّي، كلُّ شيء على ما يُرام، أنا في الطريق.

– يا الله! نال إعجاب أخي، كما نال إعجابي، لابُدَّ أنَّه مميَّز للغاية، لابُدَّ أنه إنسان خارِق، إنسان رائع، إنسان "سوبر".

اللهفة أعجزَتْني، فبدلاً من أنْ أنتَقِي فستاني بركتُ كالجمل، نمتُ في سريري، الرعشة تملَّكتْني، انزعاج أهلي جعلَهم يستَعِينون بكلِّ بطاطين البيت.. يا رب، لا أتخيَّل اللقاء، وكيف أتحمله؟!!.

أخيرًا سمعت رنين جرس الباب.. سمعت صوت أخي مع والدي.. لم أسمعه يقدِّم أحدًا.. قال والدي:

– أختك مريضة.. أحضر طبيبًا حالا.

– سأراها أولاً.

دخل أخي حجرتي مبتسمًا، جلس بجواري وأنا أنتفض.

– اطمئنّي، كلُّ شيءٍ على ما يُرام.

سألتْه عيناي بدهشة:

– أين هو؟!

– رجع من حيث أتى.

اتَّسعت حدقتا عينيَّ!

– وجدته غير مناسب، فتصرَّفت.

جززت على أضراسي.

– اطمئني، ولن يتَّصِل بك مرَّة أخري.

تحرَّكت رأسي تساؤلا!

قال:

– أفهمته أنَّ التي كانت تُكلِّمه طوال الوقت هي أنـــا؛ انتَحلـــتُ شخصيَّة أنثى وكانت لعبة ممتعة.

اعتدلت في فراشي وضاعَتْ الحمَّى، ونطق لساني:

– وصورتي التي رآها؟!

– بسيطة، أفهمتُه أنها لفَتاة لا أعرفها.

– ولماذا فعلت هذا؟

- جملةٌ جاءت عفوًا منك: "إنَّه قادم فكيف نخذله؟!" لم نخذلـــه، أفهمناه أنها لعبة.

- وماذا فعل؟!

- دهش في البداية، ولكنَّه ضحك، ضحك كثيرًا وعاد أدراجه!

**

نشرت بمجلة القصة ومجلة حواء ديسمبر - ٢٠١٠
وبموقع الألوكة ١٩/ ٧ / ٢٠١٠

السباق العالمي

نام المواطن الأمريكي يوم الاثنين ولـمّا استيقظ في الصباح الباكر وقطع أحدهم ورقة من مفكرة الحائط فوجئ بـأن اليـوم الأربعاء.. سأل من حوله ما يجب أن يكون عليه اليوم؟! قالوا:

- الثلاثاء.

شهقت تلافيف مخه وزفرت ولكن التقويم يشير إلى الأربعـاء، لابد أن هناك خطأ ما.. ولكن مذيع التليفزيون يقول:

- الآن نقدم لكم أخبار الأربعاء.

مازالت تلافيف الدماغ تتقلص.. ما هذه الحيرة؟!!

اندفع إلى المذياع يقلب محطاته وهو يردد:

- معنى ذلك أننا نمنا يوما ونصف اليوم!

أكدت الإذاعة أن اليوم الأربعاء فكان لابد من الخروج من هذا الحيز الضيق إلى عجيج التجمعات البشرية، ونقيق ضفادعها.

وما أن وطأ الشارع حتى شعر بالأزمة على أتُونها:

- كيف ننام كأهل الكهف؟

دقق فيمن يتساءل؛ إنه مزدوج الجنسية المسلم.

التساؤل عام، والبلبلة تملأ الأذهان، المصالح والشركات مرتبكة الحركة، الوضع غير عادى فإذا ما اطلعوا على الوقت في العالم الثالث وعرفوا أنهم في يوم الثلاثاء حتى زادت حيرتهم.

- ماذا حدث؟! والأهم لمن يتقدمون بشكواهم؟!

لم يطل الوقت، الإعلام الأمريكى الديموقراطى الذي يمد الشعب بخيوط الحقيقة مهما تعقدت، حل اللغز بإعلانه عن استضافة رئيسهم الجديد صاحب الفكر الألمعي.. تململ كثيرا وهو يستمع للرئيس يقول:

- نحن الدولة العظمى.. نحن رؤساء العالم.. نحن السبّاقون في كل مناحي الحياة.. فكيف تسبقنا شعوب العالم الثالث بالزمن!!

كيف يستقبلون اليوم الجديد قبلنا بنصف يوم.. من فعل هذا الجرم بحق قارتنا المعظمة؟!!

حبس أنفاسه كما باقي البشر يحبسون أنفاسهم، وقبض الطير أجنحته عاجزا عن الحركة، بينما الرئيس يكمل:

- لقد وعدتكم في برنامجى الانتخابي أن نكون الأسبق دائما وها أنا أفاجئكم. الإنجازات العظيمة تبدأ بفكرة في الرأس، ثم تدرس وتتحقق على أرض الواقع؛ فعلى مراكز البحث والفلك

والجغرافيا، والمهتمين بخطوط الطول والعرض أن ترتب نفسها وتعد أوراقها، وتعيد حساباتها وتخبر الدنيا بالتوقيت الجديد.

زاغ بصره ولفت رأسه مع الإذاعات وهي تعلن عن رفع حالة التأهب القصوى في مراكز البحث الأمريكي.. مستعينين برزنامة العالم وتواريخ البشر.

هرجت مراكز الأبحاث بعلمائها ومرجت بمساعديهم وسكن الجميع حول موائده المستديرة والمستطيلة ثم زفروا زفرة كإشارة للبدء.

لم تنتظر الناس في قارة أمريكا ولا في أي مكان من العالم رأي العلماء، ولم يصبروا على أتون الحَيْرة حتى تأتيهم النتائج، بل صاروا يتكهنون، ويراسلون بعضهم البعض عبر الإنترنت مبدين وجهات نظرهم.

رسائل النت صافات ويقبضن في رحلات مكوكية بين مؤيد ومعارض وبين بين!

تقول رسالة الأمريكي المتعصب:

– لنا الحق أن نسبق العالم بالزمن.. وقد عدلناه بالفعل واخترعنا الفيمتو ثانية.

تأتي فورا رسالة المصرى متفاخرا:

– الفيمتو جاء من عقلية عربية مصرية.

قرأ المتصفحون جملة العراقي وهو يلوح بالحذاء:

– نحن من علّم البشرية الحضارة وأهدى شرلمان ملك فرنسا الساعة فارتعب منها.

جاءت رسالة الأفغاني من خندقه تقول:

– وإن سبقوا بالزمن، فنحن المجاهدون الذين قهرنا السوفييت والأمريكان، والسيف أصدق إنباء من الكتب ومن الزمن.

ولم يقف الإسرائيلي المتجبر متفرجا بل أرسل يستنكر:

هل جُنّت أمريكا وصارت سيدة الزمن بلا منازع ولم نأذن لها؟!.. أتقصدنا بهذا الفعل لأننا من سكان المنطقة العربية.. فلتجنِ الحسرة جراء هذا.

ولما فض المواطن الحيران رسالة الفلسطيني وجده يتهم إسرائيل، بأن هذا من مخططها وضمن بروتوكولات صهيون..

أكمل وهو ينحني ليلتقط حجرا:

– لن نترك المقاومة، وسنبقى.

ويتشفى السعودي برسالة جاء فيها:

– أفكر في الموضوع من زاوية أخرى، فهل لهذه الظاهرة أصل في القرآن الكريم؟!

يضحك الأمريكى بنصف ثقة:

– كل علم نخترعه يجدون له أصلا في قرآنهم.. حقيقة أنه أثبت بعض الظواهر كمراحل تطور الجنين بكلمات معدودات، ونحن نفني أعمارنا في بحث ومراقبة، ويتنبأ بصعود القمر، ويحكي عن انشقاقه قبل مئات من التجارب والفشل ومع ذلك فليس لهم حيلة في هذه المفاجأة المذهلة.

قال أحدهم:

– هذه نهاية أمريكا كما وعد الله.. الأرض أخذت زخرفها في أمريكا وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، وهل هناك أقدر ولا أجرأ من أن يسبقوا الزمن، فيحق عليهم قول الله، وأن يأخذها أخذ عزيز مقتدر فيجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس.

راحت إيميلات النت ورسالات الماسنجر بالتفسير الديني وعادت بمفاجأة جديدة فجرتها الصين أذهلت الجميع، وهي تحذر أمريكا من مغبة فعلتها:

– برغم الصراع التكنولوجى بيننا وبينكم فإنه من واجبنا أن نقدم لكم النصح.. فرق اليوم هذا سيؤخركم عنا عشرات السنين.. يوم بلا عمل، يوم بلا ملامح؛ وليست النصيحة خالصة لمحبتكم.. إنما رغبة ليظل الصراع مستمرًا والحافز على الإنتاج موجودا.

التقط مركز أبحاثهم الفكرة وحسم رأيه:

- نعم نحن نتقدم كل ساعة ودقيقة، وندون منجزاتنا كل فيمتو ثانية، وسيحاسبنا التاريخ عن هذا اليوم كيف سقط بلا مبرر أو منجز؟

وما أن وصلت مجموع الآراء إلى صاحب الفكرة الاستباقية حتى جف حلقه، وعقد لسانه، فأعلن بالإشارة والهمس عن سحب فكرته و..... قطب.

**

(شبكة الألوكة الالكترونية ٣ / ٣ / ٢٠١٠)

حبيبتي من تكون

ماذا دهاني وأنا الرجل الوقور المعروف عني الورع والتقوى.. والانتقاد الشديد لهذا المسمى بالإنترنت وغرف الشات، أجد نفسي صريع تلك الغرف معلقًا من وريدي في شِبَاك فتاة تدعى "مُزنة"!

تلك الفتاة التي غيرت طعم أيامي ولونت أحلامي وسارت في مسارات دروبي فاخترقت جدار عنادي، وساقتني إلى جنة موعودة بحلو كلامها، وسحر منطقها، وحنانها الذي يبدو جليًا من أحاديثها وحكاياتها عن علاقتها بأهلها وأخواتها.

وحينما صرت على موعد دائم معها وصرت لا أشعر بدفء الشمس إلا بندى صباحها، ولا ببهجة القمر إلا بسحر مسائها، وبين عشية وضحاها أسترجع نغم عذبها فأعيش في حالة من الهُيام بيني وبين نفسي تجعلني مكتفيًا بذاتي عن الأخرين.. عندها عرفت أنني أدمنت فتاتي فقررت الزواج منها.. فأنا السعيد الذي فاز بدعاء الوالدين.

هذه الوردة التي يفوح عطرها على البعد، لابد أن تنوِّر بيتي

وتبهج أيامي وتحمل اسمي وابني.. ولحسن حظي أنها من بلدتي نفسها ومدينتي ذاتها، ومناسبة لعمري وثقافتي، فلم يحدث هذا التوافق بيننا من فراغ، فأنا الحريص الذي لا يلقي بمفاتيحه بسهولة.

لما فاتحتها في أمر الزواج.. رحبت جدا وأبدت سعادتها التي غمرتني بهجة وطربا.. وبعد فترة من إلحاحي.. قالت:

- أخبرت أهلي.. وهم يرحبون بك، ومواصفاتك تروق لهم، ويريدون بياناتك قبل أن تتقدم لكي يسألوا عنك.

أعطيتها البيانات ولم أتكحل بنوم من فرحتي وتمنياتي بقرب اللقاء، أما عن سؤالهم عني فهذا حقهم، وأنا كلي ثقة بأنهم سيجدون شابًا مهذبًا له سيرة نظيفة وجيدة، وتحلم به كل أسرة محافظة زوجًا لابنتهم.

طالت فترة السؤال عني ولكن النتيجة كانت مرضية جدا.. قالت:

- أهلي سألوا عنك ووجدوا ما يثلج صدورهم.

- ومتى أتقدم؟

- قريبا.

- وأين العنوان بالضبط؟

- عندما أحدد لك الموعد سأعطيك العنوان.

واستمرت العلاقة على الشات وإن أخذت شكلا مختلفا أكثر جمالا وقربا.. العلاقة الآن تنحو نحو عش الزوجية والمهر الشبكة وقائمة المنقولات وترتيبات الفرح والمعازيم.

الغريب أننا لم نصطدم ولا مرة واحدة، ولم نختلف في أي تفصيلة صغيرة ولا كبيرة من هذه الأمور مما كان له الأثر الإيجابي علي وزاد من تعلقي بها ورغبتي الشديدة في سماع الزغاريد والتهاني، وصارت رغبتي ملحة في أن يضمنا البيت.. وظلت شجرة الأمل تمد فروعها في جذور حياتي وتتفرع وتنبت وردا وزهورا فيفوح عبيرا وماء مقطرا .. ولكن هناك دائما عتبة التسويف:

- لماذا يا حبيبتي هذا التأجيل؟!! قالت:

- ماما مريضة بالقلب، ومن يوم لآخر تدخل المستشفى وحالتها لم تستقر بعد.

إذاً لا بد من الصبر والانتظار حتى تستقر حالة حماتي وتفرح بابنتها.

وكانت لهذا السبب تغيب كثيرا بالأسبوع وأكثر عن المسنجر وتعود بقول واحد:

- كنت في المشفى مع أمي.

صار لساني يلهج بالدعاء لهذه الأم الطيبة التي أنجبت حبيبتي الجميلة، وربّتها بهذه الصورة الرائعة، وأدعو لنفسي أن تستمر سعادتي بفتاتي النادرة الحنون.. فقد زاد من إعجابي بها برها الشديد بوالدتها وحرصها عليها.

بالتأكيد هذه ستكون أفضل أم وأجمل زوجة ويا لسعادتي.

طال غيابها هذه المرة.. لعله الخير.. وأشحت عن رأسي فكرة أن تكون أمها قد توفاها الله.

فهذا معناه حزن حبيبتي وتأجيل لقائنا الذي أنشده بكل كياني.

وطال الغياب أطول مما أحتمل.. المسنجر مغلق.. هناك في شاطئ النور ظلام ووحشة، وفي الأمل ريبة وحيرة، وفي السعادة التي كانت قاب قوسين أو أدنى نعيق البوم.

أين حبيبتي.. أين حلمي.. ومن تكون بالضبط.. أنا لا أعرف سوى اسمها وأنها من مدينتي، وأنهم سألوا عني وارتضوا بمواصفاتي.. وماذا بعد.. وكيف السبيل إلى السؤال عنها وتلقف أخبارها؟

عام كامل لم يهدأ لي بال ولم يستقرّ بي حال، ولم يغمض لي جفن ساعة كاملة إلا واستيقظت فزعا.

ووجدت سلوتي في رسائلي التي بلا جواب.

أين أنت يا حبيبتي؟ يا أعظم وأغلى إنسانة عرفتها.. كان لك شوق وحرص وحب وغيرة وخوف على حبيبك.

أين الآن حرصك على لقائي وقربك مني، أين لهفتك إذا تأخرت قليلا؟!!

كنت أحسد نفسي عليك وكثيرا ما قلت: هل أنا أستحق حبها الكبير، وشوقها الذي ليس له مثيل؟

أين الإنسانة في الكون التي تساويك يا أعز الناس، أو تنافسك في صفاتك البريئة الشفيفة.. ربنا يحميك ويصونك وتعودين إليّ بحبك الكبير.

حبيبتي النار التي بداخلي لا يطفئها إلا وجودك فأين أنت؟! ولماذا الغياب؟ لا أذكر أنني أغضبتك أو صدر مني ما يزعجك ومع ذلك أعتذر إذا كان قد بدر مني ما أغضبك.

عودي حبيبتي واغفري لي زلتي التي لا أعرفها، عودي ممتلئة بحبي.

كل يوم سؤال وعتاب وشرح لحالتي بدونها.. ووصف لكآبتي، وتدهور لصحتي، وإهمال لعملي، وفتور علاقاتي.. وليس على لساني سوى أين أنت يا حبيبة الروح؟

بعد عام.. وجدت ردًّا وليته ما كان.

– أنا شقيقة "مزنة" لقد أشفقت على حالك كلما فتحت إيميل أختي ووجدت رسالتك.. فأردت أن تهدأ بالا.

وبلهفة مجنونة وأين هي؟!

– ماتت.

– ماذا.. لا.. لا غير معقول.. لا أصدق.. كيف؟! ولماذا؟! ومتى؟!

– كانت مريضة بالقلب وماتت.

– قالت إن والدتها هي المريضة بالقلب.

– بل هي ولم تشأ أن تزعجك.

– لقد صنعت مني سندبادا وشهريارا، فإذا بي شمشون الذي سلبته قوته وتركته نهبًا للضياع.

– كانت تحبك وتريد أن تعيش الحلم وهي تعلم أنه لن يتحقق.

– هي عاشت الحلم وماتت، وأنا أضاعت مني الحلم والعمر دون موت.

– .....

– من أدراني أنها أحبتني أصلا، وأنها لم تخلق هذا الوهم لكي تعيشه مع نفسها.

ن أدراني أنك أختها.. وتكلميننني من إيميلها.. من أدراني أنـــك
ت هي وأن روايتك غير حقيقية من بدايتها؟!!
ن أدراني.. ومن أدراني.
الت:
- الشيء المؤكد أنها كانت تحبك، أما غير المؤكد هو اسمها.
أغلقت في وجهي.. إلى الأبد.

••

(مجلة حواء ٩ مايو- ٢٠٠٩)

ما زلت تذكر؟!

كأنَّكِ نورٌ بكلِ الطُيوفِ = ومرَّ سريعًا بآفاقِيَهْ
كأنَّكِ نارٌ لتُنضِج قلبي = فيبقى أسيرًا أو الهاوِيَهْ
كأنكِ حلمٌ بصحراءِ روحِي= يبدِّدُ عَتْمةَ أيَّامِيَهْ
كأنكِ عطرٌ نَثيثُ الزهورِ= يُنسِّمُ في الروح بالعافِيَهْ
كأنكِ لحنٌ يُداعِبُ سمعي = ونَبْضَةُ قلبي به شادِيَهْ
كأنكِ نورٌ ونارٌ وحلمٌ = وعطرٌ ولحنٌ أيا....

قلبي لا يتحمّل، لا يتحمّل الدقّاتِ السريعةَ في هـذه السـنّ المتقدّمة.. السنوات بعيدة بعيدة، بينها وبين تلك الكلمـات التـي كتبتَها لأجلي ردًّا على كلماتي التي كنت أهنِّئُكَ فيها على نجاحكَ وتفوّقك.. الأول على دفعتكَ دائمًا، الماثز على أترابـك دائمًـا، تتطلّع إليك العيون، منها ما هو حسدٌ، ومنها مـا هـو غِبطـة، وأكثرُها حبٌّ.

نجم الكلية في ذلك الزمان البعيد البعيد.. كانت تهفو الفتيات إلى الحديث معك بأعذار وحجج مكشوفة وغير مرتّبة.. كنتَ تختصر الكلام معهن وتخصُّني أنا بطول الحـديث.. ومـرَّت السـنوات سريعًا.. مَنَحتْني الكلية ورقةً تقول: ناجحة؛ واضربي بمجدافَيْكِ

أمواج الحياة العاصفة، ومنحتْكَ أنت أوسمةً ونياشين واستبقاء.. النبوغُ لابد أن يبقى حيث يُنير.

وعاش كلٌ منا بعيدًا عن الآخر لسنين وسنين.. أنا أعرف مكانك، وأنت لا تعرف ميناء ترسو عليه مركبي.. كيف أعاتبك بأنك لم تسأل عني وأنت لا تعرف في أيِّ درب أسير؟!.. الأولى أن أوجِّه العتاب لنفسي؛ فلم أحاول مرَّةً الذَّهاب حيث أنت في كليَّتِكَ؛ كليتنا.. ولكنني كنت أتنسَّم أخبارك كلما صادفتُ أحدًا تخرَّج في الكلية ذاتها، أسأله عنك: هل درَّس لك؟ أرأيتَ لمعة عينَيْهِ وتوقُّد ذِهنه؟

ماذا كان يمنعني من الذَّهاب لزيارتك مع علمي بأنك تحبُّ ذلك وستحتفي بي!

نعم، تذكَّرتُ؛ كان هناك حاجز قويٌّ؛ إحساسي بأن صداقتنا لا تعني شيئًا بالنسبة لك.. نعم أنت أعطيتَني هذا الإحساس يوم أن قدَّمت لي ورقةً تَحمِل شاعريَّتك، لم أتبيَّن أنها لي، سألتُك: لمن هذه الكلمات؟ قلتَ: هذا سرٌّ.. حاولتُ أن أستخرج منك السرَّ فلم أفلح!

أخيرًا اضطُررتُ للتلميح الذي في طيِّه التصريح، قلتُ لك: أكمل مكان النقط، ولن أمنِّي نفسي بشيء.. سأعتبره شعرًا خالصًا

وجه الشِّعر.. أيضًا لم تفعل.. لماذا كان إصرارك على أن تُخفيَ شعورك.. وكنتُ أنتظرها؛ كلمةً صريحة مباشِرة غيرَ كلِّ ما كتبتَ من شعر تُريه لي ولغيري، إصرارك هذا هو ما جعلني أغادر الكلية دون عودة رغم كثرة مروري عليها، وحنيني إليها، فهي في طريقي بين عملي وبيتي؛ ولكنني احتفظت بورقتك التي ضمَّت كلماتك تصادفني بين الأوراق من حين لآخر، فأطالعها وأتأمَّل كلماتِها، وأذوب في رقَّتها، وتتبلَّل عيني بحنين الماضي، ثم أغيِّبها من جديد بين طيَّات الورق.

ومضت السنون بخيرها وبؤسها، بحلوها ومرِّها، وصرت عجوزًا بالمعاش، خشونة الركبتين تقلِّل من قوَّة البدن، ولكنني أحمل نبض شابَّة في ريعانها.. أجلستني السنُّ وقلَّة الحركة أمام النت، أتواصل بنظَّارتي السميكة مع أناس افتراضيِّين نجعلهم في هذا العالم أصدقاءَ حقيقيين باتفاق غير مكتوب؛ لهم علينا المودَّة، ولنا عندهم الاحترام.. تعرَّفت من خلال هذا العالم الافتراضي على بعض الزملاء القدامى، عَرَفوني وذكَّروني بأنفسهم، وما كنت أطمع أن أجدك بين الأصدقاء، وما أمَّلتُ أن ترسل لي بصورة قصيدتك التي أهديتَني إيَّاها منذ دهر مضى، بعد أن أضفتَ اسمي مكان النقط، مسبوقةً بكلمات تقول:

صبَّحك الله بالخير.

أثناءَ تنقيبي في مكتبتي عن شيء قديم، عثرتُ على هذه الصفحة، فرأيتُ أنكِ أولى الناس بأن تشاركيني شعور الوقوف على ذكرياتها.

يا له من شعور! ويالها من مفاجأة! أما زلتَ تحتفظ بها بخطِّ يدك ممهورةً باسمك؟! وما زلتَ تذكر أنها لي أنا لا لغيري رغم ما أعقبني في مدرَّجات الجامعة من دفعات ودفعات زادت عن الأربعين، كلُّها وجوه شابَّة نضرة، لا تتغضَّن ولا تَهرم، الوجوه أمامك يجدِّدها لك الزمن في كلِّ عام، وأنت شامخ أمامها، ترتفع قامتك عامًا بعد عام، تعطي علمك وفكرك وخفَّة روحك.

هل تخيَّرتَ منهن رفيقتك في الحياة؟ هل أورَقتَ وأثمرت وجنيتَ رطبك وفاكهتك؟

أنا الآن في قلب وردة، وحولي أوراق كثيرة من الأولاد والأحفاد، وأنت الآن ترسل لي كلماتٍ تمنَّيْتُ من سنينَ طوالٍ أن تكون لي.. هل أرسلتَها لتقول من خلالها: آسفٌ؛ لقد حرمتُكِ من حقِّكِ عمرًا طويلا، وأنك ما زلتَ تذكر؟!

**

القاهرة في : ٨ يونيو ٢٠١٨

ماذا يا ترى؟

حين قررتُ إسقاط تعريفه من المسنجر كنت قد أجمعت أمري وروّضت ماردي وأقنعته بضرورة الفراق.

ذبلت زهور مودتي فلم تعد هذه العلاقة خلابة كبدايتها، لم تعد تأخذ لبّي كما كانت، لم يعد فيها ما أسرني وأدار عقلي وأجّج مشاعري.

كثيرا ما سألت نفسي: من أين جاء طائر الفتور وضرب بجناحيه على وهجي؟!

لم أعرف سوى أن ولادة السأم كانت من عنده، وأنني لم أصبر.. وعدم صبري هو احتكام لصوت كرامتي المذبوحة بطول الكذب، وخلف الوعد.. كان قلبي نبعا صافيا قبل أن يلوثه بزيف الحب.

يقولون: ليس بين المحبين كرامة.. وأقول: بل كل الكرامة.. لي رأي مختلف عما ينصح به المحبون بعضهم البعض.

على عكسهم ليس في الحب تسامح.. طالما الخطأ متعمد فليس هناك حب.. ومادام ليس حبًا فلماذا خداع النفس.

(إما تكون مشاعر أو لا تكون)

وتجاهله لي أحيانا كان متعمدا، كيف يتجاهلني وأنا حبيبته، كيف يصبر على غيابي والحب لهفة وشوق، كيف يترك وردتي بلا ريٍّ لفترات طويلة وحين تميل برأسها نحو الذبول يسرع بالماء، بل كيف يقسو بكلمات غير ملهمة، والحب انتقاء لفظ جميل؟!

ابتعدنا شهرين، ثم عاد بعدها تماما كما قال الشاعر:

(وبراءة الأطفال في عينيه)

يريد أن يستعيد المشاعر.. فلم أستجب، وقلت لنجعلها صداقة.. رفض وزمجر وهدر وأرغى وأزبد ولم يحصل مني على الكلمة التي يتمناها.

هل كنت قاسية معه كما وصفني؟! أم كنت أحمي قلبي من السقوط!!

الأمور عنده محددة وواضحة، أقسم أنه يحبني ويريد ألا يقل حبي له.

الأمور عندي غير محددة الملامح.. هل أصدقه لأنه أقسم وبداخلي شك؟!

هل أقول له: أحبك ويملؤني القلق!

وهذا الحزن المعتق في قلبي كيف الخلاص منه؟! والفراق كان لماذا؟ ولم يبرره، ولم يعتذر عنه، ولم يشكُ من عذابه، قرر الابتعاد وقرر العودة وأنا الدمية التي يلهو بها!! لن أكون.

رفضت هذا المنطق حتى لو ذبت شوقا إليه؛ ألست ممن يتمنعن وهن الراغبات، ليكن.. مادام هذا التمنع لحفظ ماء الوجه، استجابة لنداء الكرامة، ليكن هذا التمنع مع الرغبة من قبيل قوة الإرادة، ولماذا لا تكون إرادتي قوية وترفض هذا الهراء، ألم يقدر على بعدي شهرين؟! لماذا لا أستطيع أنا شيئًا استطاعه؟!!

عناصر المشاعر عندي مختلطة: يغلبني الحنين إليه، ويرجوني أن أصفح، وإصراري على عدم الصفح كان من غصة حقيقية تخنقني.. كررت مقولتي:

– لنكن صديقين.

وتحداني:

– أنت تحبينني.. ولا تقدرين غير أن تحبينني، ولو قالوا أن كل العالم كرهني لا أصدق أنك فيهم.

– ليكن؛ لك قناعتك، ولي قناعتي.

ومضيت أضع أزرار صدريتي التي فتحتها للحياة في عراها.

هذا المعنى الجديد الذي قررته ضد نداء أعماقي.. يكلفني دماء بيضاء هي خطوط الدفاع التي فقدت قدرتها، فأعاود لتقويتها وأحثها ألا تضعف.

أراه على الماسنجر أكلمه مرة ومرات أتجاهله، هو يفعل ذات الشيء، وصار كل منا ينتظر من الآخر أن يبدأ ليرد باقتضاب وكسل.

استسلم لصدّي فلم يعد يستجدي، وظننت أن الأمور هدأت والقلب في سبيله ليغفو.. لكنه كان يغافلني ليرسل لي إشارة مشعة تذكرني به تسألني عنه.

هناك شيء ما يطرق من بعيد وهذا الطرق حينما يلتقي بالفتور يُحدث تمزيقا مؤلما في النفس.. ما هذه الحالة من اللاجدوى.. ولماذا الاستمرار في هذا الملل العاطفي؟!

لماذا لا أبتعد نهائيًا ودون مقدمات وقبل أن تحدث الخلافات ونتبادل الاتهامات.. وينجرح القلب جرحا لا يندمل.. لنكن حكماء ونكسب الذكرى.

قمت بعمل حظر حول اسمه ثم حذف، فلم أعد أراه، لم يكن هذا فقط، بل حذفت بضع كلمات له كنت أحتفظ بها من أيام شدوه.

يا إلهي ما هذه الراحة التي أنعمت عليَّ بها، فعلا البعيد عن العين بعيد عن القلب.

صرت من حكيمات النت المشهود لهن، كلما وجه إلي سؤال مفاده مضايقة نتّيّة أنصح بالحذف السريع وأعدد مزاياه.

وطال الوقت.. صحيح أنني في راحة ولكن سؤالا ملحًّا يغزوني:

كأنه سعيد بهذا القرار، كأنه كان يريده ويتحرج أن يكون البادئ، لم يسأل أين ذهبت، لم يجرب التليفون، لم يبعث برسالة إليكترونية!!

وحدث.. أن فوجئت برسالة باسمه على الإيميل.

لم تكن الرسالة استفسارًا عن غيابي، كانت من رسائل النت الدينية التي يطلب مرسلها إرسالها لعدد من الناس لتحصل على الثواب العظيم.

هل فعلا هو يبحث عن الثواب؟ أم يسأل عني بطريقته؟

لن تخرجني هذه الرسالة مبهمة الغرض عن عزيمتي.

ولكني في انتظار رسالة أخرى وثالثة ورابعة تدلني على ندمه لفقدي!

بعدها وجدت المسنجر يطلب قبول شخص أضافني وينتظر قبول دعوته، قبلت الإضافة.

قرّ في نفسي أنه هو.. يريد أن يعرف هل اختفائي متعمد أم مصادفة.. هل مازلتُ أفتح النت وأحادث الأصدقاء، أم انطويت على نفسي واستسلمت لليأس؟ ثم ابتسمت للخاطر ابتسامة المنتصر.

الآن عرف أنني أسقطته من حساباتي، استغنيت عنه وهو الذي يعتز بنفسه حتى الغرور، افتقدته بإرادتي وهو الذي يظن أنه لا يعوض، فهو كثير المدح لذاته ذاكرا قدراته الخارقة وخفة دمه الفائقة وألمعيته الواعية..و.. و.. حتى أنني حين قلت له:
(لا تظن نفسك ليس لك شبيه، يوجد منك كثير ومعدل)
لم يصدقني واستمر في غروره.

الآن فقط عرف صدق عزمي، و.. وها هو عاد متربعا في الماسنجر باسم جديد لكنه لا يكلمني.. لا بأس هو فقط يريد الاطمئنان، ولن أبدأ بالكلام هو الذي طلب الإضافة وهو الذي عليه تقديم نفسه المزيفة أولًا.

كل يوم تزداد قناعتي بأنه هو، ويزيد يقيني أنها مواعيد دخوله وخروجه من النت، ويزيد يقيني أكثر أنه أسلوبه ذاته في تعليق عبارة بجانب اسمه تعني أنه "بعيد" كلما رأيتها تخيلتها (حدب) على ظهره. فأبتسمُ شماتة.

وظل يزيد يقيني ويزيد حتى تحدث إليَّ ذلك الشخص، وتأكدتُ.. ليس هو.

تدثرت في حيرتي.: إذن فأين هو؟!

أذرع مساحة شقتي قلقا، وأيامي سؤالا، لماذا لم يعد يظهر على المسنجر.. لماذا يا ترى؟

**

(نشرت بعدة مواقع إلكترونية)

بريق السراب

هبط على نافذتها بحصان أثيري، يعرف طريقه إلى العمق كان ملثما.. لكنه أبدى فنونا في القتال، ومهارة في الضم، والفتح، والكسر.. طير كل عصافيرها ليبقى وحده مغردا.

نثر حروفه ورودا فاح عبيرها في المكان، علمها الرقص على أطراف الأصابع. دارت حوله تلتقط كلماته وتلضمها في خيط ودها على ضوء بهائها، حتى انتظمت عقدا من جوهر يطوقها.. علمها البسمة سرًا، واستحلاب السكر سرًا، والحذر من العين.

لما أرادتْ الاستزادة سمح لها أن تميط اللثام، فلم ترى وجهًا!! كان فراغًا وخواء.. نظرت إلى الحصان فإذا به يتفتت نتفا.

ركعت فوقه تذرف الدمع، تصنع منه نهرا يغسل أدرانه.. وتستنجد بإيزيس تسألها:

– ماذا فعلتِ يا صاحبة أشهر قصة وفاء لتعيدي لزوجك الحبيب الحياة؟!.. قالت:

– كان زوجي شيئا ملموسا، وأنتِ تقبضين على فراغ.

فغيرتْ كلمة المرور.

**

(نشرت بعدة مواقع إلكترونية)

فارس بلا جواد

صباح الخير أيها الفارس بلا جواد ولكنه يحتفظ لنفسه باللجام.

اليوم الجمعة عندك أجازة اليوم وغدا، وأمس أعطيت لنفسك أجازة غير مبررة.. ثلاثة أيام لم تفتح حاسوبك في اتجاهي.. وذلك لأنك في بيتك وسط أهلك وأولادك.

وأنا التي تمطرها بكلام جميل، وتؤكد لها دورها المهم في حياتك.. عليَّ أن أنتظر وقت فراغك.

أنا أيضا سأسافر الآن إلى الساحل الشمالي ثلاثة أيام أخر.

سأجلس عند البحر وأكلمه عن فارس ربما يستحق لكنه جاء متأخرا.. متأخرا جدًا.

سيسألني البحر ولماذا تأخر؟! هل كان من القدر؟

بالطبع لن أكذب عليه.. سأقول:

بل من الخوف.. نعم رغم أنه فارس لكنه يخاف.

في البداية لم يجد الوقت، وفي النهاية لم يجد الشجاعة.

طبعا سيسألني أي نوع من الشجاعة تقصدين؟!.. سأقول:

شجاعة أن يكلمني خارج الدوام الرسمي وكأنني زميلته في المكتب نلتقي وقت العمل ونفترق بعد الدوام.

إذا ضحك البحر سأخبرك أنه سعيد، وسأعرف أنه يبارك ويطلب مني التجاوز، أما إذا ابتسم فقط فسوف أحلل ابتسامته أولا.. أهي ابتسامة مرارة أم تهكم؟! هل تحمل معنى الدهشة لأني أسميك فارسا؟! هل يبتسم شماتة ويُعلمني أنَّ لكل جواد كبوة!!.. وسيقول لي لقد سقت جوادك بمهارة وحرفية لكي تتوقفين عند هذا المنعطف؟! وعندها سأقول له:

هو أيضا ساق جواده ليوقفه أمامي.. لكنه لا يجرؤ أن يمد يده ويجذبني على ظهره، وسوف أقول:

خوفي هو خوف عليه، لا يمكنني إرباكه.. لا أريده إلا أن يكون مطمئنا وهانئا.. وهأنذا يا بحر شرحت لك حالته وحالتي كي تشاركني الرأي، وبالطبع سأسمع البحر وهو يقول:

الفارس الذي يبحر فيَّ لا أشاركه الرأي، فما بالك بفرسان البر؟!

قد أنهض من أمام البحر غاضبة منه لكن المؤكد أنني سأفكر في كلامه، وسأعود إليك بذات القلق لأجدك في الانتظار.

سأعود لأسمع منك كلاما منمقا وساحرا لـــه بريـــق كبريـــق السحاب، لكنه معاد.. وسأسميك فارسا رغم أنك تخاف.

قد تقول أوحشتني.. وقد تقول أحبك.. قد تقول سيدتي الجميلة والشفيفة.. وقد تقول أنتِ ورد وريحان.. ولا أجـــد بـــدا إلا أن أجرع الكأس حتى الثمالة، لا أجد بدا إلا أن ينزف جرحي حتى النهاية.. لكنني أبدًا أبدًا لن أشعر بالأمان.. لأن فارسي يخاف.

**

عبق التواصل

(لعلها الحياة تسرق عبق التواصل منا..
لكنها حتما لا تنسينا من نحب)

قرأتْ رسالة الموبايل دون اكتراث رغم إعجابها بالعبارة.. وتساءلتْ هل يعقل أنه كاتبها؟!!.. أنّى لصاحب المؤهل المتوسط -مهما كان قارئا جيدا- أن يكوّن جملة كهذه.. لابد أنها جاءته في رسالة ووجدها مناسبة لحالة الحظر الذي فرضتُه عليه منذ عدة أيام.. هذا الرجل الذي حرت في أمره أو بمعنى أصح في حبه الجارف.. هو يتصرف تصرفات لو جاءت من الشخص الذي يميل إليه قلبي لجعلني أسعد الخلق، ولكن للأسف جاءت من هذا الذي لم يخفق له قلبي قط، بل يختنق بتصرفاته، وأراها تضييقا مبالغا فيه.

كل تصرفاته تدل دلالة واضحة على مبلغ حبه، ورغبته الجامحة في أن يراني كثيرا كثيرا، وأن يسمع صوتي على مدار اليوم.. لم أشعر بندم لإعطاء رقم تليفوني لشخص قدر ندمي لهذا الشخص.. والسبب إلحاحه الفظيع في أن يحصل على الرقم..

يبدأ يومه بالاتصال بي بمجرد خروجه من بيته.. ينتقل من وسيلة مواصلات إلى أخرى وهو على التليفون.. يغلق ليعود ويتصل.. ثم بعد أن يصل إلى عمله يتصل عدة مرات لا يترك التليفون إلا ليكمل ملاحقته كتابة بالفيس بوك.. ثم يعود للتليفون وهو عائد لبيته أيضا يتصل عدة مرات.. والحقيقة أنه دائما يجد ما يقوله، يتكلم عن حياته، علاقاته بأبيه وأمه وأخته وعمه، قصة كفاحه والفقر المدقع الذي عاش ويعيش فيه، رأيه السياسي فيما يدور ويحدث في البلد، قراءاته المتعددة فهو مثقف رغم مؤهله المتوسط ويحتج بالعقاد الذي لم يحمل مؤهلا؛ لكنه العقاد! يبتكر أي كلام ليظل الخط مفتوحا وخلال المكالمة أحاصر بكل أدوات الاستفهام التي تعبر عن رغبته في أن يراني: أريد أن أراك.. متى أراك.. هل أراك اليوم.. غدا.. بعد غد.. إذن متى؟

أما يوم الجمعة فأنا على معرفة بأهل قريته.

يسلم عليهم وهو خارج من المسجد ثم يشرح لي من هذا ولماذا ومتى وأين.. وأنا طوال الوقت أقول:

– يكفي.. اقفل.. من فضلك لا تتصل باقي اليوم.. ثم أصرخ أنا تعبت.. سأرمي هذا الرقم من أجلك.. اندفعت فيه ذات مرة:

- لما أعطيتك رقمي كان لتستعمله عند الضرورة لا أن تزعجني بحكاياتك وأصوات الكلاكسات، ونهيق الحمير لمجرد أن لديك فائضًا من الدقائق.. ليس لدي الوقت لأضيعه في ثرثرة كهذه.

أظل بالأيام لا أرد عليه.. وهو لا يمل الاتصال.. ثلاثون مرة في اليوم، فأضطر لجعل الموبايل في وضع الصامت وهنا تنشأ مشكلة أخرى مع من يتصلون ولا يجدون ردًا.

كثيرا ما كنت أتساءل كيف لهذا الرجل المسكين الفقير أن يتجرأ ويعلن بوضوح أنه يحبني وهو يعرف الفارق الاجتماعي بيننا.. يعرف أنني من علية القوم وأنني مثقفة ومرموقة.. ولا يعرف شيئا عن ظروفي الاجتماعية فما الذي يشجعه على ذلك ويجعله يتكبد مصروفات الشحن المستمر.

تقابلنا مرتين.. في الثانية قال: أتمنى أن آخذك في حضني.

قلت: وأنا أتمنى أن أصبح رئيس جمهورية.

قال: من الممكن أن تصبحي رئيس جمهورية ولكن أنا من المستحيل أن يتحقق حلمي.

أما أول لقاء فكان صدفة مقصودة.. قرأ على الفيس أنني سأحاضر اليوم في مكان ما، رغم بُعد المكان عنه جاء.. بعد المحاضرة رن التليفون: أنا هنا..استديري الآن.

وجدته أمامي بطوله الفارع ووجهه العاشق ورعشة أطرافه.. واختلاجة خديه و.. و.. كثير.

جلسنا على أريكة في حديقة المتحف، كان سعيدا برؤيتي، وأنني كما في مخيلته.

ضيق الوقت أنهى اللقاء سريعا، ولكنه ترك دلالات واضحة.. هو عاشق فعلا.. وأنا قلبي غير مكترث به فعلا.. فهل لقلبي حبيب آخر؟!

ذلك الآخر يطلب لقائي مرارا وفي كل مرة أقول له في أي وقت تقرر أنا على الأهبة.. ولكنه لم يقرر.. أخبره أولا بأول أماكن وجودي ولم يجد الوقت ليقابل من يواصلها بالحاسوب ويبثها أشواقه يوميًّا لأكثر من مرة ولعدة ساعات.

في الصباح الباكر يسبقني في الأغلب:

- صباح الخير والجمال والحب على أجمل عيون في الكون، أتمنى أن تسعدي بيومك المعطر وأن يكون يوما سعيدا طيبا.

ربما أرد عليه بعد ساعة.. ربما يكون موجودا فنكمل حوارا حالما.. ربما لا يكون موجودا فيرد بعد عودته من عمله.. ربما أكون موجودة فيطول الحوار هامسا.. أما في المساء فلنا موعد.. لابد من أن نتقابل ويمتد بنا الحديث.

نستمع لأغنية ونرددها معا.. نتبادل كلماتها كتابة، يحكي لي ظروفه، فراغ قلبه الذي ملأته حبًا ورقة، حالة السعادة التي يستقبل بها يومه وينام يحتضنها.. أطوف معه في كل سبيل فإذا ما عرج إلى بثي مشاعره فأنا لا أجاوبه صراحة، يكتب كثيرا ومتلاحقا.. اسمي مع كلمات أحبك أعشقك.. ثم يُلح كثيرا كي أنطق بكلمة تسعده وتطمئنه:

- قولي كلمة حلوة.

- كلمة حلوة.

- لماذا تبخلين علي ببعض حبك؟

- ربي خلقني بخيلة.

- أشعر أن قلبك الآن يرفرف كعصفور حبا لي.

- لا أمنعه.. ولي عقلٌ يسيطر عليه.

فيقول بعد أن يتنهد:

- ما أتعبنا إلا التفكير بالعقل وتركنا القلب ينبض ما يشاء إلى أن وجدنا أنفسنا نعيش بلا هدف.

- أنا أعيش بالاثنين.. قلب يرف ويبدع وعقل يحميه من الزلل.

- أنا معجب بكل ما فيك.. دعابتك، عفويتك وأناقتك في الحديث، ثم ثقتك الزائدة في نفسك.. ينقصني أن أثق بحبك لي.

ولما يزيد إلحاحه أقول له:

- كلامي مؤجل حتى نلتقي، ربما وقتها يكون هناك حال آخر.

أحيانا يحاول أن يلفت انتباهي بحكايات ملفقة ولما أكتشف تلفيقها وأخبره يعترف على الفور أنها كانت لتجذبني نحوه.. أحيانا يحاول أن يستثير غيرتي:

- معي الآن صديقة من سوريا.. ويستطرد:

- آه من نساء سوريا كأنهن مخلوقات لإسعاد الرجل.

ولما يرى عدم اكتراثي بل أصدّق على كلامه وأمدح فيهن.. يقول:

- لا يطير فكرك للبعيد.. هي مجرد صديقة.

- لم يطر فكري لأي بعيد.. اطمئن أيها الطائر الغرّيد.

أما عندما يشكو من زوجته التي هي نائمة الآن تشخر، والتي هي بوزن الفيل، والتي لا تهتم به، أو لا تهتم بنفسها من أجله، فأنا دائما في صفها أدافع عنها.. فلا أجدها فرصة بل اختبارا.. وهل كوني أميل إليه بقلبي يجعلني أرمي المؤمنات الغافلات.. فيقول: - أحيانا أشك أنك تعرفينها.

الحمد لله أن جعلني متجردة ولا أزن بمكيالين، ولماذا وأنا التي تسمع ميكروفونات المحافل دفاعها المستميت عن المرأة وحقوقها.

صدمه كلامي:

- ربما أنتَ السبب.. هل تتعاون معها؟ هل تُقدّر جهدها في البيت ومع الأولاد؟ ما تريد أن تفعله هي افعله أنت، وما تريد أن تسمعه منها قله أنت و و.. ثم أقول له:

– لا أريدك أن تتعلق بي هكذا.. هذا يزيد الفجوة بينك وبين زوجتك، أريدكما تقتربان.. أتمنى أن أجدك زوجا سعيدا.

يقول حاسما:

– يبدو أنني أسرفت في إظهار مشاعري وليس لها وزن عندك، أم ترَيْنها هراء طفل شقي.

– أسرفت كلاما ولم أخبر بعد مدى قدرتك على استخدام الكلمات.. ربما تعودت هذه البراعة.

– أحبك بجنون أيتها المرأة العنيد.

آه لو تعرف كم يجذبني كلامك وحكاياتك، وما تختاره لي من أشعار وكأنك ناظمها من أجلي، ولكنني امرأة لها ظروف.. كوني أرملة ولدي طفل يجعلني أحتفظ بمشاعري بكرا.. فأقول:

– أنت رجل افتراضي وأنا بالنسبة لك امرأة افتراضية.. لابد من إزالة هذا الافتراض باللقاء وسيكون بعده ما يكون.. أحيانا يغضب ويقول:

- تصبحين على خير.. فلا يجد سوى:
- وأنت من أهله.

فيعود ويفتح حوارا جديدا قد يطول ويرسل أشعارا عاطفية لعله يصل من خلالها لما يريد وأنا ثابتة على المبدأ، فكيف أبوح بمشاعري لرجل لا أعرف إلا صورته وكلمات يقولها من مثل:

- لم أعرف حبا أجمل من حبك، ولا رومانسية أكثر مما أنا فيه الآن.. أو يقول:
- شوقي إليك يزداد كل لحظة.. اتركيني أحبك من طرف واحد.

حرت في أمرك يا رجل.. كلامك عن المشاعر والقلب، وقسمك لا تدل عليه أفعالك؛ فأنت أخذت رقم تليفوني ولم تتصل سوى مرة واحدة وسريعة ربما لتتأكد أنه رقمي مع اعتراضك على الرقم لأنه مختلف عن رقمك.

ثم أنك وعدت أكثر من مرة بالاتصال أثناء اليوم ولم تفعل!!

أعدك بخيلا مقارنة بذلك الفقير الذي لا يمل الاتصال حتى ينفد رصيده فيذهب لخدمة سلفني شكرا.

أما حبيبي الذي يبخل باتصال تليفوني فلا يمل من طلب رؤيتي بالكاميرا.. أنا أيضا لا أمل رفض هذا المطلب:

- لا أتعامل مع الكاميرا إطلاقا وهأنذا أوافق علـى أن نتقابـل حقيقة في النادي الأهلي مثلا وسأعزمك أنا لأنك في بيتي.

ثم قررت لقلبي أن يعتزل وهو في القمة.. كما يفعل لاعـب الكره.. لابد من إيقاف هذا الجدل المعاد.. وحددت يوم سـفره.. موعدا للإغلاق.

كانت مشاعري في الأيام الأخيرة جياشة وشجية؛ لعلمي بأنهـا أيام الوداع، وهو يتساءل:

- ماذا بك.. أشعر أنك حزينة!!

وأرد عليه بما يسميه ألغازا:

- أشياء جميلة ستضيع مني.

- كلامك ملغز.. ما الذي تخافين ضياعه منك؟

- ستعرفه بعد يومين.

- من فضلك احكي.. أحس بحزنك.

- أمس واليوم وغدا فقط.

- لم أر حزنا محدد المدة كحزنك.. ومع ذلك أتمني الآن أن أقوم على الفور وأجهز لك الشاي بالحليـب والبسـكويت وأضـعه أمامك.. ثم أضع أحلى وأجمل قطعة حلوى فـي أحلـى وأرق وأطعم فم.. هل توافقين.

- ألا تمسح دمعتى التي طفرت الآن.

- أووووه.. نعم طبعا.. يكفيني فخرا أن أكون لك خادما مدي الدهر. ويستطرد:

- آسف لأغلي دموع.. لماذا الحزن؟!

- الحزن لا يدوم.. كما هي الأيام الحلوة لا تدوم.

ومر اليومان وكتب يودعني لأنه مسافر وسيتواصل معي من هناك.. وانتظرت لمنتصف الليل وقمت بحظره بعد أن كتبت له رسالة مختصرة أقول فيها:

لعل ما أسميته ألغازا تكشف لك الآن.. وعرفت سبب حزني الذي سألت عنه، وقلت لك أن آخره غدا.. ولعلك أدركت ما هو الشيء الحلو الذي سيضيع مني، وعرفت سبب دمعتي التي انحدرت، وسر قولي "سأفتقدك".. أملي أن تتذكرني بالخير.

حدث من قبل أن ألغيت صداقته لتجاوزه خطا أحمر.. أسبوعان وعدنا واغرورقت أعيننا معا، وقال: هجرك أتعبني.. لا تفعلي هذا مرة أخرى مهما حدث، مهما حدث، كان وقتها الاسكاي بي مفتوحا فكتب عدة مرات "أنتظرك سيدتي".. الآن أغلقت الاثنين.

ولغيظي من أن أحظر من يهواه قلبي فلن أبقى على من يطاردني وكأنه أوقف حياته لأجلي.. حظرته هو الآخر، اليوم التالي استقبلت الرسالة:

(لعلها الحياة تسرق عبق التواصل منا..

لكنها حتما لا تنسينا من نحب)

ومر وقت طويل.. أعيد قراءتها من وقت لآخر، وأنا أعتقد أنها من الذي لا يمل الحيل، من أرقام أعرفها وأرقام لا أعرفها.. أرد مرة بعد عشرين اتصالا.. فيبادرني:

- أريد أن أراك.. ارفعي الحظر.. لماذا تعامليننى هكذا!!

يتعصب أحيانا ويقسم ألا يتصل بي ثانية ثم يعود ويتصل:

- أحبكِ وهذا ليس بيدي.

في كل مرة أريد أن أسأله من أين أتيت بتلك العبارة.. وأنسى أحيانا من عصبيتي معه، وأتناسى أحيانا حتى لا يتوهم اعجابي بجملة كتبها فيتشجع أكثر.

اليوم فتحت العبارة أتأملها ونظرت إلى تاريخها، يا الله.. إنها في اليوم التالي لحظر حبيبي.. هي رد فعل للمفاجأة التي وجدها.. هي من أسلوبه وروحه.. هو أكيد من أرسلها.. وتحرك دمي في عروقي ليلف جسمي ويستقر في قلبي ليخفق بعنف..

الحياة تسرق عبق التواصل منا نعم يا حبيبي، لقد كان أجمل تواصلا.. ثم يؤكد لي أنه لن ينساني.. ياربي كيف لم يخطر ببالي هذا.. كان يجب أن أعرف أنه هو.. ولكن لماذا تعمد أن لا أعرف.. وأرسلها من تليفون غير تليفونه.. الهواجس ستفتك بي.. أتعبني التفكير.. ماذا أفعل الآن لكي أعرف الحقيقة.. سأتصل بالرقم ويحدث ما يحدث.. مهما كانت النتيجة أفضل مما أعانيه من قلق وحيرة.

وجاء الصوت أنثويا رقيقا يقول:

- أهلا حبيبتي.. كيف حالك.

بتلعثم ودهشة:

-"منى" أنت التي أرسلت تلك العبارة.

- نعم حبيبتي ولكنك لم تردي فقلت أنا لست على قدر المقام.

- جملتك جميلة يا "منى"!!

أما هو فلم يرسل شيئا.. ولم يحاول الاتصال مرة.. ولم يتوقف قلبي عن النبض له، أما تليفون الآخر فلا يزال يرن.

**

عصفوري هناك

"هذا آخر كلام بيننا" لما كتبَ عبارته غاضبا.. رأيته بأم عيني يخرج من صدري.. عصفور أبيض به رجفة.. ترك فؤاده وامتثل أمامي يتابعني بنظراته:

- أما زلتِ تنتظرين؟!

هززت رأسي بنفي ضعيف.. دار حولي عدة دورات ولما وجدني لا أحاول استرجاعه.. طار وعلى مرمى بصري حط على فرع يهتز.

وهذا يواصل كتابته بغرور:

- اعلمي أن عدم ثقتك فيَّ هي التي عجلت بالفراق.

كتبتُ:- لا عليك يا صديقي أنت قلت هذا آخر كلام بيننا وأنا موافقة.

كتبَ:- فدوى.. لماذا تستفزينني.. لا يزال بيننا كلام كثير.. نلتقي مساء.. وأغلق الفيس.

لم تكن أول مرة يهددني بالفراق.. لم أستعطفه ولا مرة منها بل في كل مرة أعجل بالموافقة فيعود ويفتح الكلام من جديد..

يبثني حبه ويحكي عن شوقه وسعادته بوجودي، وعن الرومانسية التي يعيشها جرّاء هذا الحب الطاهر النقـــي.. و.. و.. وأنســـى تهديده.. ولم يخرج عصفوري من صـــدري محتجـــا رافضـــا الأسلوب.. لماذا الآن؟!

هل لأنه التهديد الثالث كالطلقة الثالثة.. هل لأنه جاء بعـــدما اعترفت له بحبي، وكنت من قبل أراوغه ولا أنطق بالكلمة التي ظل يحارب من أجلها شهورا طوالا!!

نظرت إلي عصفوري.. يتأرجح هناك على فرعه.. هل هـــو الذي يرتعد أم الفرع يهزه نسيم لا يصلني:

– بعدما اعترفتِ بحبك صار لزاما عليه حفظ العهد.. صـــرت تناديه حبيبي.. وما عدت تُخفين مشاعرك، تغنيت به وغنيت له:

يا من نشا حبه في الحشا

فاق الظبى خطوه إذ مشى

– نعم أذكر.

– لكنه تراجع كما في كل مرة.. لماذا لـــم تتراجعـــي أيضـــا.. اعترفي بالحقيقة.. هاتها أمام عينيـــك ولا تـــدفني رأســـك فـــي الرمال.

- لا أدفن رأسي عصفوري المشاكس، وأعرف ما ترمي إليه.. تقصد تلك البنت شروق.. التي بثها شوقه ورغبته في التواصل معها.. إنها.. إنها كما تعلم.

- إنها من صنعك أنتِ لكي تعرفي من خلالها مدى إخلاصه.

- عصفوري لا تخلط الأمور.. هي كانت في وقت الخصام.. صنعتها لتحبه فانقسم بها إلى اثنتين أحبه مرتين.. وأعشقه حاضرا وغائبا.

- اخترتِ لها اسم شروق.. وطلبتْ صداقته.

- ولبى على الفور.

- بل دخل على الخاص يشكرها ويعبر عن سعادته بوجودها معه قلبا وقالبا.

- لم أهتم يا عصفوري.. تعرف كم هو رقيق مع كل الناس.

-.....

- لا تنظر إليَّ هكذا؛ هي أيضا عبرت عن إعجابها بمنشوراته.. وما فيها من دليل ذكاء وفطنة وإنسان خيّر، فوجب عليه أن يشكرها:

(أشكرك يا آنسة)

(العفو.. يا أستاذ "نور":)

(ليس اسمي "نور" يا آنسة.. اسمي باهر)

(هذا اسم يناسبك، لأنك تدعو لتعلم العلم، وبما أن العلم نور فسميتك نورًا)

(شكرا لذوقك يا آنسة.. اسمك رائع أيضا.. شروق؟)

- أرأيتِ كيف يسترسل في الكلام.

- تركتُه أسبوعان ثم بادرته:

(مساء الخير أستاذ نور.. أنت تكتب كلاما رائعا.. أنا معجبة بك جدا)

(بي أم بكلامي)

(بك.. لو لم تكن أنت ما كان الكلام.. المهم صاحب الكلام)

(هل أعتبر هذا إعجاب واضح بشخصي.. أرجو)

(ترجو؟!!)

(كل فرد منا يحب أن يكون محبوبا من الناس جميعا)

- أخذتِ بالك.. أن يكون محبوبا من الناس جميعا.

- لا تكن سيئ الظن عصفوري.. البنت هي التي تجاوزت بقولها:

(كلامك هذا يجذبني.. فيه هدوء وطيبة وذكاء ومودة)

- وماذا قال؟! ألم يقل:

حس أني أتغير علي يديك..) كما يقول لك أتغير على يديك.

هى أيضا لم ترحمه فقالت:

تغير على يدي.. يعنى عندك استعداد!)

لا تخشي عليه هكذا لم يخجل ولم يدَّع الفضيلة بل قال:

المهم صبرك عليَّ)

أصبر وزيادة.. اعتبرني ناعسة)

- ووجدها فرصة:

أيمكنني أن أسألك عن نفسك وقلبك، أدق لأحد من قبل، وهل ازال يدق أم تعطل و.. و؟)

(بسؤالك هذا تجر عليَّ مواجع كثيرة.. أتناساها وأنا معك)

(آسف لن أعود لمثل هذا أبدا.)

(على الفور تتأسف!! هذه رقة زائدة.. لم يعد أحد يتأسف اليوم.. أنسحب قبل أن تزيد حالة إعجابي بك.)

(لا عليك يا أنسة انطلقي انطلقي ولايهمك.)

– أتعرفين متى كان هذا يا أنا.. وهو في قمة الرومانسية معك.. بعد اعترافك له بحبك.

– عصفوري الغاضب.. لم أعر الأمر التفاتا.

– كيف؟! أنسيت أنك اعتصرتِيني وقتها وضيقتِ علي مكاني.

-.....

- ثم أبيات الشعر التي أرسلها إليها، لشاعره المفضل أيضا لـم تلتفتي لها!:

(مازلتُ أعرف أن الشوق معصيتي
والعشق والله ذنب لستُ أخفيه)

- أيضا لا يهم.. فقد عاقبتْه أسبوعا.. ثم جاءت تدغدغه:

(بالأمس حلمت بك مريضا واليوم وجدتك تنشر أدعية الشفاء.. يارب تكون بخير وصحة جيدة)

- صرخ جزلا:

(الله عليك وعلى رقتك.. أنا فعلا مريض.. أكرر شكري.. وأرجو المزيد من التواصل.. لا تغيبي عني.. لا تغيبي)

(شفاك الله وعافاك، أنت إنسان فاضل وتستحق الخير)

(كثير علي هذا، أنا إنسان مليء بالعيوب)

(يا ليت تقول لي العيوب ربما أهدأ)

(لا تتعجلي الأمر.. كله في حينه)

(أي حين أنا فعلا في حالة لخبطة وأحاول أن أتجنب الكلام معك)

(ولمَ اللخبطة؟!!)

(لا تتعجل الأمر كله في حينه.. المهم أنه صارت لك مكانة في نفسي.)

(كم عمرك وأين تعيشين؟)

(لا تفرق الأعمار مع المشاعر.. تصبح على خير.)

- ثم فيْ الصباح.. استقبلها بكلماته الحالمة:

(صباح الخير يا شروق الحياة الجميلة الرقيقة.)

(أنت هنا أستاذنا الجميل.. هل تحسنت صحتك؟)

(شروق أنت فتاة متدفقة حبا وجمالا.. حاولي أن تجدي نفسك مع من تحبين، فالحب أمر جميل.)

- يظنها عاشقة له فيشجعها على المضي.

- نعم فمضت تلاعبه:

(لا تجعل عينك تقع إلا على الجمال.. ولا تجعل أذنك تسمع إلا كل ما هو جميل.. ولا تجعل قلبك يعشق إلا من يستحق.. القلب له حبيب واحد يا نور)

- ثم سألته عن رأيه في الحب فأرسل لها الجملة المدونة على جهازه وسبق أن أرسلها لك.. وسألها:

(متزوجة أم آنسة أم مرتبطة؟)

(آنسة ومرتبطة وموقوف حالي)

(لمَ اليأس؟!!)

(.....)

(مالك سكتِّ؟)

(حزنتُ على نفسي)

(ليسْ هناك مايدعو للحزن.. الجمال في الحياة والسعادة تملأ الكون.. كم عمرك؟)

– قفي هنا يا فدوى.. لماذا قلت: ثلاث وثلاثون سنة؟! ألم نتفق على سن أكبر وظروف مختلفة.

– ربما أردت أن أحميه من نفسه، لكنه تصرف بذكائه المتدرب عليه.

– ظل يحكي لها عن نفسه وظروف عمله وصديقاته اللاتي يستشرنه في مشكلاتهن ثم طلب منها أن تحكي قصتها وسبب حزنها.. وحكت:

(عناد فظيع بيني وبين أهلي.. لا يرضى أبي أن يزوجني حبيبي وأنا أصر وأرفض كل من يتقدم لخطبتي.)

(هل هناك سبب واضح أمامه لهذا الرفض؟)

(نعم.. إنه متزوج وله أولاد.)

(أووه.. وجهة نظر مقبولة.

- وماذا أفعل؟

- الأمر يحتاج لحنكة منك.. إن يكن يستحق كل هذا الحب.)

(هو رائع.. ويحبني جدا، ويتقدم كثيرا وفي كل مرة يرفضه أبي.)

(وما سبب رغبته في الزواج منك غير الحب.)

(الحب فقط.. لا يعيب على أهله؛ وهذا ما يجعلني أثق به.)

(معك في العمل؟)

(نعم.. أراه كل يوم.. ويوم الأجازة لابد أن يسمع صوتي أول ما تشرق شمسه.)

(جميل أن أعرف بوجود مثل هذا الحب الآن.. هل يملك مقومات الزواج؛ بيت ومصاريف وخلافه، أم هو حب وفقط؟)

(يملك ومستعد ويتحدى والدي.. يقول له: لن أتركها لغيري، خمس سنوات على هذا الحال.)

(في الإسلام لا ضير من الزواج الثاني.. والرجل من حقه الزواج بأخرى يميل إليها.)

(كل الزملاء يعرفون قصتنا وتوسط بعضهم عند أبي.. قال لما أموت تزوجيه.. ولا أريد فعل أي شيء خارج المألوف.. أحب أبي جدا وأحترمه.)

(لابد من حل.. من الأهل من الأقارب من الجيران منه هو أيضا.)

(هو ذهب لعمتي وأقنعها ولما كلمت أبي طردها من البيت.)

(لم يرض أب في الكون أن يترك ابنته من غير زواج لابد أن هناك سرا لا نعرفه.)

(نعم هناك سر عرفته فيما بعد.. وعدّ قطعه أبي على نفسه لزوجته)

(لزوجته؟)

– نعم.. جاءت لأبي ترجوه ألا يهدم بيتها فوعدها.)

(ياااه إنه سبب نبيل.. وطاعة الوالدين أهم من حبك وراحتك يا آنسة.)

(أكثر من هذا!! ضيعت عمري وربما فرصتي في الإنجاب من أجل طاعة الوالدين.)

– لقد نسجتِ قصة رائعة من خيالك يافدوى.

– كنت مندفعة فيها اندفاعا.. أردت ألا ينظر إليها كأنثى.. بل كحالة.

– وهل فعل؟! .. فورا قال لها:

(أنت سمراء أم بيضاء؟ صفي لي نفسك.)

(صف أنت نفسك أنا تكلمت كثيرا عن نفسي.)

(ماذا لو أرسلتُ لك صورتي الآن.. هل يمكن أن أرى صورتك.)

– ها هو يريد أن يرى صورتها.. ويعرف لون بشرتها.

– الفضول عصفوري.. ألا ترى كيف أحرجته.. حين قالت:

(عرفت فيك صفة لا أحبها.. لا تعطي بلا مقابل.)

(لا والله.. جاءت عفوا.. ربما رغبة في معرفتك أكثر.. خذي صورتي بلا مقابل.)

– كنتِ رائعة وأنت تصيحين، أو هي تصيح.

(يا الله.. حبيبي أنت هو.. كأنك هو.. شيء لا يصدق.)

(شروق.. أنا حبيبك؟!!)

(لا تؤاخذني نور انفعلت وبكيت.. أنت تشبهه جدا.)

(أنا؟!!)

(غير أنه متواضع عنك.. وقفتك ونظرتك بهما غرور.. كما نقول "شايف نفسك".. على كلٍ أنت محق؛ فأنت وسيم المظهر والمخبر.)

(هل لي أن أري صورة حبيبك؟)

(أنظر في المرآة.)

(أتمنى واحدة تحبني هكذا.)

(لابد لمن تحبك أن تحبك هكذا.. لو كنت شاعرة لأبدعت القصائد.)

(لأنكِ فتاة رومانسية وجميلة من داخلك.)

(وصاحب هذه الصورة لابد أن له قلبا عاشقا وملتهبا.. أريد أن أسمع قصة قلبك.)

- تحاولين فدوى بكل الطرق أن تسمعي كلمة عنك، فتذكري ماذا قال:

(حفظت كل كلام وأشعار الحب وأعرف مواطن الغزل لمعظم شعراء العرب وغير العرب، ولم أجد منْ أقوله لها!.. أني ملتهب حقا.. ولكن من غير مدام.)

- ها هو ياعصفوري يعترف أنه ملتهب.

- قال من غير مدام.

- .....

- ثم وصلنا لمحطة النهاية.. محطتك التي أوقفتِ فيها القطار دون أن يصل لمحطته الأخيرة.

- نعم عصفوري.. فوجئت برسالته لها التي يقول فيها:

(مساء الحب يا شروق.. أتمنى أن أكمل معك العمر.. لا أصادف مثلك؛ رقة وجمالا وحبا، أتمني أن أحظى باهتمامك أكثر يا شروق، ربما أجد نفسي مرة أخري.. آه لو أنتِ الآن معي.. ولكن تأتي الرياح.)

– وكان ردها عنيفا وقاسيا:

(أنت ممن يقلبون الصفحة دون استيعابها.. جسارتك ليست في موضعها.. تتمنى أن تكمل معي العمر!! وتريد اهتمامي بك أكثر لتجد نفسك!! كل هذا بعدما عرفت قصتي.. تريد أن تأخذني من حبيبي.. أنت واهم.. واهم، لقد سحبت منك اسم نور.. أنت الآن باسمك.)

– ههههههههههه

– لماذا تضحك عصفوري؟

– سحبت اسم نور!! وبالطبع تعرفين ماذا فعل؟

– نعم.. ادّعى أنه لا يعرف عم تتحدث.. وقال لها في انتظارك.. فردت عليه لا تنتظر.. فاعتذر عن فهمها الخاطئ، وأنه من خيال عقلها.. ماطل ثم أرسل لها وردة وصورة.

– نعم فدوى ذات الصورة التي أرسلها لك والتي مكتوب عليها: أفكر فيك دائما.. فقالت له:

(أفهم أنك تعتذر عن كلامك.. وأنك فعلا كنت تقصده.. فلماذا؟!)

- قال: إنه لم يكن يقصدها وأن الرسالة التي أزعجتها كانت لأخرى بذات الاسم وتشابه الأسماء هو السبب.. وكما يفعل معك لكي ينهي الأمر قال: أرجو عدم التعليق.

- نعم عصفوري.. هي طريقته في الهروب.

- ما يحيرني.. لماذا صددته صدا تاما، والهدف من البداية هو الكشف عن نيته.

- لم أرد أن يسقط أمامي.. أو قل أنهزمُ أمام نفسي.

- ولماذا هذه الدمعة الساخنة.

- بقايا من لهيبه.. هيا عصفوري الأبيض النقي ادخل صدري، ونم قرير العين.. لقد قفلنا هذا الحساب.. هيا عصفوري.. هيا.

نظر إليَّ طويلا و.. طار إلى بعيد.

**

(نشرت بموقع الأدباتي ١٠ / ٩ /٢٠١٨)

عالم أثيري

الراتب بالدولار، والبنت في حضن الأم منذ انفصال أمها عن أبيها.. شقيت الأم وتكلفت جهدا ومالا، سهرا وتعبا حتى تُعلمها تعليما راقيا أفضل من تعليم أخيها الذي هو في كنف الأب.

أيصح بعد أن عانت وسهرت وأنفقت حتى وصلت البنت لهذا المركز المرموق.. وهذا الراتب المغري أن تفرط فيها بسهولة لأي خاطب.. أبدا.. في كل عريس عيب.. ومع كل عريس مشاجرة تفتعلها الأم ليهرب العريس صارخا عازما على عدم العودة.. وفي كل مرة تحزن البنت وتكتئب.. وأمام إصرار أمها على رفض المتقدم وإظهار ما ليس فيه من مساوئ تستسلم البنت لمصيرها.. ومع كل حدث من تلك الأحداث يضاف لعمر البنت سنوات حتى باتت تخشى على نفسها ضياع الفرص.. وإذا ما صارحت أمها على استحياء أفهمتها أنه ليس لها مثيل في البنات وأن الذي يرتبط بها ليس أقل من وزير أو سفير..

ولابد أن يكون ملياردير حتى لا يكون طامعا بها.. أو براتبها.
وحدث ما لم يحدث من قبل.. وما لم تكن تتوقعه.. أحبت البنت.. رشقها بعينيه، فأذاب فؤادها.. همس في أذنها، فانسابت مياه الحياة في جسدها.. لمس يدها فاشتعل القلب جمرا.. رجل أعمال جاء لمُقر عملها كأي عميل.. لكنها شعرت بما ظنته المستحيل.. فقد كانت أمها تحذرها تحذيرا قاطعا ألا تترك نفسها ألعوبة لقلبها.. ممنوع الحب لأنه الضعف والتنازلات وضياع الهيبة والكرامة.. وهي ممنوع عنها الصغائر.
لكنه حصل.. وأسقط في يدها.. خافت البنت على حبها من وأده على يد الأم.. خافت أن تظهر ضعفها أمام أمها وهي التي كلما واجهتها أمرتها أن تشمخ برأسها وتفرد ظهرها وتصعر خدها.. وترفع أنفها.. فكيف تقول لمن جعلت عمرها كله وقفا عليها.. أنا أتحداك وأصر على هذا الرجل، أو ذاك.
مرارا يطلب منها أن تقدمه لوليّها كي تتم سعادتهما.. وتراها الهاوية.. ظلت تراوغ وتسوف.. وظل يلح ويستفسر.. وظلت معقودة اللسان أمام أمها.. خوفا أن تثور ثورتها المعتادة.. وتفقد الأمل والحب معا.. وأخيرا وضعها بين سندان الحب ومطرقة

المواجهة.. فوقته ضيق وعمله في أمريكا وأجازته أوشكت على الانتهاء ولابد أن يسافر وهي معه.

ولم تجد بدا من أن تشرح له طبع أمها، وعليه أن يتحملها مهما فعلت.. ورغم وعده لها وطمأنتها لم يطمئن قلبها.

وكانت الطامة الكبرى صاحت الأم:

- وأيضا تذهب معك إلى أمريكا.. وتحرمني منها إلى الأبد.

وجد الرجل أن الحال أكبر من فهمه.. والوقت أقل من أن يمهله ليستوعب.. حمل حقيبته وطار بقلب ينزف إلى بلاد بلا قلب؛ بلاد التكنولوجيا.

وبدورها حملت حقيبتها وراحت بقلب ينزف إلى قلب دافئ؛ قلب أبيها.

أبوها الذي كان يرى ما يحدث لها فتنزل دمعته في الخفاء.. ويطير قلبه شعاعا من أجلها.. استقبلها قبول الأب الحاني وداوى جراحها إلى حد ما، أو لنقل استطاع أن يخفي الأنين بداخلها ويضفي الأمان على خارجها.. ووجدت سلوتها في التواصل الاجتماعي.. الفيسبوك والماسنجر.. ماذا تفعل بوقتها بعد عودتها من العمل.؟!

واندمجت في هذا العالم الجديد.. حتى أصبحت أسيرة هذا العالم الأثيري.. هي في الحقيقة كانت تبحث عن نفسها الضائعة وسط الحياة وصخبها.. وهذا المجهول ماذا عساه أن يقدم سوى التسلية لبعض الوقت.. ولكنه أفضل من الاستسلام لحزنها.

لم تبدأ بطلب الصداقة لا من رجل ولا من أنثى.. لكنها لا ترفض أي طلب يأتيها.. تعتبره ضيفا يدق بابها ولابد من إكرام الضيف.. والضيوف في غاية الكرم.. لا يأتون بيد فارغة.. إنهم يغدقون بالورود، وبالحكمة المصورة، وبالنصائح الغالية.. في هذا العالم الغريب التقت برجال يريدون إقامة علاقات صداقة أحيانا، وحبا في أغلب الأحيان.. وجدتها فرصة تتعرف منها على طبائع الرجال.. ذلك الجنس الذي حذرتها منه أمها بحجة الخوف عليها وحتى لا تتعرض لمثل تجربتها وتجد نفسها في النهاية مطلقة ومكبلة بأطفال.. فماذا وجدت!!

كل طالب صداقة يظن نفسه الفارس المنتظر الذي جاء في وقته.. لا يسأل إن كانت مرتبطة أو مجروحة.. عصبية أو حمولا، تكذب أم تتجمل.. بل عليها أن تكلمه وحده، وتتفرغ له وحده، لا تتأخر عليه في الرد وإلا غضب.. ولا تجيبه بغير حاضر و.. نعم.

تتساءل أحيانا هل كانت أمها على حق!!

ولكن هناك غائب حاضر في ذهنها.. كثيرا ما تهب عليها العاطفة، تصنع لها حالة من وجد شفيف، يسهم في حالة من هيام رفيف فتتساءل حين تفيق:

كيف تكون في جمع من الناس وتفتقد شخصا واحدا ليس من بينهم!!

كيف يلتف حولك الجميع ولا تراهم لأنه مثبت أمام ناظريك صورة شخص بعينه مهما أوحشك بطول غيابه!!

وكيف يتكلم كل هؤلاء حولك ويوجهون كلامهم إليك ولا تسمعهم، وتعيش مع كلمة سمعتها من شخص خاص بالنسبة لك!!

كيف تبتسم بينك وبين نفسك.. وتلمع عيناك وتبرق لنشوة شعرت بها وحدك!!

كيف تشعر بالدفء في معية غائب وتشعر بالبرودة في الحضور!!

ما هو هذا الإحساس؟ وما اسمه؟

كثيرا ما كانت تصاب بالملل فتغلق نافذتها بينها وبين هذا العالم الافتراضي الكسيح.. ولكنه السحر الخفي.. والإدمان المزمن..

فتعود هذه المرة مأخوذة بالبدايات.. فلكل شخص بداية مختلفة عن الآخر.. منهم من يستمر الحوار معه لأيام ومنهم من تحظره من اللحظة الأولى.. بدأ أحدهم:

- هل لي أن أتعرف عليك في حدود سطر واحد.. من فضلك.

كانت رائقة المزاج قليلا فقالت:

- وآخر السطر نضع نقطة أم علامة استفهام؟!

ضحك لكنه قال جملة فاجأتها:

- أحس نحوك برهبة غريبة لم أعهدها من قبل.. شغوف أن أعرفك.. رجاء أخير بتسهيل المهمة من فضلك.

عصبي ومقتحم وفي مهمة لا بد من إنجازها.. لكن مزاجها لم يفقد حضوره:

- ثم ماذا؟!

- من أنت أيتها الغامضة!!

- اتهام أثير لدى الرجال يعرفني من دقيقة واحدة ويتهمني بالغموض.. ماذا لو تركته يصدق نفسه!!

**

بدأ أحدهم بعد التحية والتعارف العادي بسؤال غريب:

- من هي ملكة جمال الجنة؟

- لعلك تقصدني.

- ليس هناك خلاف على كونك من ملكات جمال الجنة واستطرد:

ملكات الجنة من حيث الجمال السيدة حواء وأنتِ، ومن حيث الصبر ماشطة ابنة فرعون، ومن حيث الحكمة زوجة فرعون، ومن حيث التضحية السيدة خديجة، ومن العموم فاطمة بنت محمد.

- أعرف أن نساء الدنيا أجمل من الحور العين.

- كلامك صحيح.. ربي قال أنا عند حسن ظن عبدي بي.. ثم استدرك:

- نساء الدنيا لسن أجمل من الحور العين ولكن هناك نساء فضلهن ربي على نساء الجنة ولن يدخلن في اختبارات التصنيف.. ويكمل:

- آسف لقد أثقلت عليك فلست في مستوى فهم وإدراك حضرتك. أنت تستعبط أيها الرجل تظن أنك تؤثر في بوصفك البارع.

**

دخل أحدهم بلا سلام ولا تحية قائلا:

- سيدتي ممكن أسألك سؤالا وأرجو ألا تفهمينه خطأ.

- تفضل
- ما نوع العطر الذي تستعملينه؟
- الماء.
- اسمه الماء أم تقصدين أنك لا تستعملين العطور.
- لا أستعمل العطور.. والمرأة العربية كانت تنصح ابنتها وتقول لها: أحلى الحلاوة الدهن وأطيب الطيب الماء.
- متشكر جدا لقد أجبت ووفيت.

لكنه اختفى.

**

بدأ أحدهم بدون تحية:

-أتحبين أن نكون أصدقاء؟

- لا.
- على راحتك متشكر.
- شكرا لذوقك.
- أنت كل الذوق.
- ماذا تقصد بالصداقة؟
- البراءة والطهر والأخوة.
- لا مانع.

لكنها أغلقت عليه عندما أراد بها شيئا آخر.

**

قال أحدهم:

عرفيني بك اسمك حياتك أسرتك من أين؟

مواطنة مصرية.. أحب القراءة وأحبُ بلدي وضد الانقلاب.

- أنت طيبة وما شاء الله شكلك حلو ربنا يحفظك.. لكن لماذا حزينة، بعيونك حزن مكتوم.

- هههه دعه مكتوما.. أنت تدرس العيون!

- نعم وأعيش باحساسي.

- بدون أن يؤذن لك!

- لكي أعرف مع من أتكلم.

- ولماذا تسأل عن وعن وعندك احساسك.

- ربما أجد من يحس بي.

- ابحثْ عنه في عيون أخرى.. سلام.

**

وكتب أحدهم رسالة مطولة يقول فيها: بعد أن أشكرك على قبول الصداقة.. أعرف أنك لست على الحاسوب وهذه فرصة لكي

أقول لك أن بداخلي أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها لكن شجاعتي تخونني..

فهل أجد قليلا من الأمان لكي أتخلى عن خوفي وأتحدث بما أريد؟

ردي بنعم أو لا.

ولكي لا تظني بي الظنون سأكتب لماذا أريد أن أكلمك.

أحكي لك عن نفسي كإنسان، ولماذا اخترتك لأفصح لك عما بداخلي لك.

لو أحببت تتصلين بي أكون أسعد سعيد سعداء أهل السعادة.

أغلقت عليه دون حرف منها.. فقد تأملت الرسالة طويلا وقالت قد يكون مأزوما فيزيد تعاستي.. وقد يكون فارغا فيزيد خيبتي، وفي كل الحالات.. هو مزعج وكثير الكلام.

**

أما الرسالة المفاجئة بالنسبة لها فكانت بدايتها:

- أخيرا وجدتك.

- .....

- لماذا لا تردين حبيبتي.

- .....

- آه.. آسف أخذتني المفاجأة حين وجدتك.. كان يجب أن أسأل عن ظروفك أولا.. هل تزوجتِ؟

- من معي؟!

- أقول اسمي أم أرسل صورتي؟

- يا الله .. أهو أنت.

- أنا أنتظرك.. فهل انتظرتِ؟

- نعم انتظرت وسأنتظر.

- هل غيرت والدتك موقفها؟

- أنا الآن في بيت أبي.

- أعطيني تليفونه فورا.

أخذ أبي عنوانه وأخبره أنه سيسأل عنه.. جاءنا عمي الذي يقيم في أمريكا بأخباره وحسن سيرته.. وها أنا الآن في حفل زفافي على حبيبي وبجواري أمي تبارك لي.

وأبي يسلمني إليه لنطير معا بعد أسبوع إلى أمريكا لنبدأ الحياة.

**

أخيرا تحقق حلم مريم

وقفتُ مشدوهةً أمام المشهد العجيب في مطار "طـرابلس"، ظللتُ شاخصة دون حِراك ولم أشعرْ إلا ودموعي تنسـاب دون صوتٍ مني، ولما زاد الحال خرج صوتي وأجهشتُ بالبكاء على شيء لم أعرفه، وكما أن الضحك يُعْدي، البكاء أيضًا يعدي.. إذا بالنزلاء جميعًا –غادين ورائحين– يجهشون ببكاء حار.

والمشهد الذي أبكانا: هو لامرأتين في سن متقدمة جدًّا تحتضن كل منهما الأخرى وتبكي بحرقة، التي تتكلم اللهجة "الليبية" تنكبُّ على يد رفيقتها تقبّلها، فتحتضن التي تتكلم اللهجة "الفلسـطينية" رأس الأخرى وتقبلها.

وتسأل من خلال دموعك الواقفين بجـوارك فتتلقـى إجابـات مختلفة:

– صديقتان من زمن بعيد تقابلا صدفة.

– ربما قريبتها أو شيء من هذا.

– ربما سمعا خبرا سيئا.

– ولكن كل واحدة منهما تتكلم لهجة مختلفة!

وتتحدث شابة تشبههما معا قائلة:

- أمي وخالتي لم يتقابلا منذ ثمانٍ وأربعين سنة.

فَغَرْتُ فاهي، وذهني يردد بدهشة: ثمانٍ وأربعين سنة!!

تطوع أحدهم وأجلسهما بعدما نال البكاء منهما مأربه وأجهد مهجتيهما العويل.. وجيء لهما بالماء البارد والمناديل الورقية.

خف الحنين قليلا وبدأت الناس في استجماع حاجياتها والانصراف، إلا المتطفلين، وأنا منهم.

لا يمكنك التخمين مَن منهما الكبرى لبعد الزمن بالاثنتين.. ولكن التي يحمل تجاعيد وجهها خريطة فلسطين تكلمت، بينما الأخرى التزمت التربيت على كتف أختها وظهرها، وتهز رأسها مرة بالموافقة على كلامها، ومرة بالأسف على الحال. قالت:

- العدو الصهيوني الله يخلصنا منه السبب في الفرقة، سنة ٤٨ كان عمري عشر سنين، وكانت أختي هذه ابنة سنتين.

ضرب جنود العدو الباب علينا بأقدامهم ودخلوا مشهرين السلاح في وجوهنا يأمروننا بالخروج وترك منزلنا وبلدتنا!!

في البداية رفض أبي الانصياع وهب في وجوههم فهددوه بأنهم سيصفّون عائلته واحدًا وراء الآخر أمام عينيه إن لم يخرج بأسرته حالا.

رفض أبي؛ كيف يترك داره وأرضه؟! وأين يذهب ولماذا؟! فإذا جثة أمي تتدحرج أمامنا في الحال برصاصة الوغد الأشر.

عندها استسلم أبي فحمل أخي إبراهيم ذا الست السنوات، وحملتُ أختي بعد أن وارينا جثة أمي التراب، وخلفنا موطن رأسنا ومعقل عزّنا "المجدل" واتجهنا حيث يتجه المطرودون نحو غزة.

كنا نمشي بثقل نجرُّ أرجلنا ونحمل همّنا.. نتلفت شمالا حيث تركنا أمنا وحيدة حزينة، ونتلفت يمينا فنخال أشجار التين والزيتون، وبساتين الكروم التي كنا نمرح تحتها أذرعا تنادي علينا: عودوا.. عودوا.

ولولا رصاصُ العدو المتطاير خلفنا يحثنا على أن نسرع الخطى، ولولا النازحون بجوارنا وصوت بكائهم على بيوتهم وبساتينهم، لانفجرت أكبادنا غما.

سكنا ناصية شارع يقرصنا البرد ليلا، ويؤذينا الحر نهارا.. إلى أن تمكن أبي من بناء حوائط لنا من القماش والخشب والصفيح، وتكفلت الجارات بتدفئتنا بما يفيض عندهن من فرش وأوعية، وأحيانا يؤثرون على أنفسهم على ما بهم خصاصة، وتكفل الرجال بالنظر في شؤوننا حتى تمكن أبي من الحصول على عمل مناسب يغنينا عن الحاجة.

كانت أختي طوال الوقت تلبد في حِضني خائفة أكثر منا ولا تكف عن البكاء، لا أدري إن كان على الثدي الذي فقدته أم على الأمان الذي ضاع منها؟!

هل كانت تستشرف المستقبل أم تخشى المجهول؟!

تحول أخي إبراهيم بسنواته الست إلى رجل يشعر بحجم الظلم ويستشعر المسؤولية، فكان كلما حاولت ضمَّه إلى صدري ينفر بعيدا ويقول:

- أنا رجل، أنا أحميكم من العدو.

بعد ثماني سنوات صارت الطفلة فتاة جميلة فارعة ابنة عشر سنين، لا تغمض عيني ليلة إلا وليلى بالقرب مني، وأخي يدرس بجد واجتهاد وينجح كل عام بتفوق ويعمل بجوار الدراسة، وكنت أنا في الثامنة عشرة، أرفض الخطاب من أجلها.. لكن أبي أرغمني على قبول أحدهم.. وانصعت.

انتقلت إلى بيتي؛ عروس في يدها ابنتها.. رفضت بشدة إلا أخذ ابنتي ليلى معي.

كان أبي يأتي ليأخذها تدفن رأسها في حضني وتقول:

- اتركني عند ماما مريم.

وإذا أخذها كنت أعود لأستردها مرة برضا أبي، ومرة رغما عنه، وإنجابي لابنتي لم يلهني عن ابنتي البكر -أختي- فلا يهدأ لي بال إلا وهي عندي، ولا أطمئن عليها إلا وهى تحت نظري، خاصة بعد أن تزوج أبي من امرأة فاضلة لها ذات الظروف.

اضطر أبي لضيق الحال أن يسافر إلى السعودية مصطحبا أسرته معه.

- زوجته وأختي وأخي، وبقيت أنا مع زوجي في غزة.

أضاف فراق عائلتي لقلبي حزنا جديدا خاصة أختي؛ كان ألم فراقها أشد من آلام حملي المتكرر ووضع أولادي واحدًا تلو الآخر.. ولولا الاتصالاتُ التليفونية المتباعدة وبعض الزيارات السريعة ما صبرت ولا تصبرت.

أنجب لنا أبي أخا جديدا يدعى محمد، وتزوج أخي إبراهيم واستقر بالسعودية فترة من الوقت، وتزوجت أختي وانتقلت إلى ليبيا، واعتبرها العدو لاجئة فلا يحق لها العودة إلى غزة ولا حتى للزيارة.. ثم فقدنا الاتصال.

شدد العدو الخناق علينا أكثر فقطع الإرسال، وأغلق المعابر وفرض الحصار الجسدي والنفسي، وعدَّ علينا الشهيق والزفير.

سنوات طوال طوال لم أسمع صوتها ولم أعرف أخبارها، مات خلالها والدي وزوجته بالسعودية ولم يصلني الخبر في حينه.

وظلت الروح معلقةً بالمجهول حتى منّ الله علينا بالهواتف النقالة.. ومن بعدها بالإنترنت.

أجلست ابنتي أمام الحاسوب تبحث عن أهلي.. تنشر الصور وتكتب الأسماء، وننادي عليهم.. أريد أن أعرّف أولادي بأولادهم قبل أن أموت.. ولم يتوقف النداء حتى جاءتنا رسالة من شاب في كندا.. عرفت أنه ابن أخي إبراهيم وعرفت أنه انتقل وأسرته منذ مدة للعمل في كندا في وظيفة مرموقة.

عرفت منه عنوان وتليفون أخي غير الشقيق بالسعودية.. وأيضا عرفت طريق أختي التي تعيش في ليبيا مع بناتها، وعاد الأثير يحمل أنفاسنا وأشواقنا وكثيرًا من بكائنا.. ثم مات أخي الشقيق بكندا ودفن بها، وكنت لم أره منذ عشرين سنة.

وتواصل السنون زحفها الثعباني الممل، وكبر الجسد ووهنت القدرة على الفعل، ولم يطفئ الحاسوب نار شوقي لأختي، وهنا ظهر هاجس جديد حطم البقية الباقية من قدرتي؛ وهو الخوف من الموت قبل أن ألتقي بها وأضمها إلى صدري.

لليلنا نتمنى اللقاء حتى تفتقت الفكرة في رأسينا.. لماذا لا نعد وراقنا ونسعي لقضاء مناسك العمرة ونلتقي هناك في بيت الله لحرام وعند نبيه المصطفى "عليه الصلاة والسلام"، وأسرعت كل منا بإنهاء أوراقها وتهيئة نفسها.. وحان وقت التنفيذ، فإذا مشكلة تنشأ على الحدود المصرية تتسبب في غلق المعابر بشكل متواصل، وهي المنفذ الوحيد لخروجنا من غزة، قلت لها: انتظري لا تخرجي إلا لما أخرج أنا أولاً. وأخرت ذهابها قدر المستطاع، والمعبر لا يفتح أبوابه، ثم ذهبت هي للعمرة على أمل أن ألحق بها.

كلما مر الوقت واقترب موعد عودتها إلى ليبيا وأنا حبيسة المعابر يصيبني الهلع فأصرخ وأصرخ؛ صرختُ في مناشدة لخادم الحرمين الشريفين، صرخت مرة أخرى في مناشدة لرئيس مصر وقتها، ولا من مجيب، ولا جفاف لدموعي وحزن قلبي.

أخرت أختي نفسها في بلاد المناسك قدر المستطاع واضطرها الوقت للعودة لبلدها تجر ضياع الأمل.

وفتح المعبر وخرجت متكاسلة محبطة أطوف وأسعى وفي كل حركة أتخيلها بجواري، وذهبت لبيت أخي من أبي والذي لم أره

منذ ولادته حتى صار جدًا، فقال لي: إنها قعدت معهم بعض الوقت لم تكفَّ عن البكاء.. بت مقتنعة أنه لا لقاء بيننا في الدنيا. صحوت من نومي على ثورة في تونس، تمنيتها على حدودي لتكسر قيودي. . وقامت ثورة مصر المحروسة.. وتنحى مجبرًا جاحد القلب المفسد في الأرض، المتملق العدو دون خجل.

ولكن لما قامت ثورة ليبيا اختلطت مشاعري ممتزجة بالخوف على أختي.. فالعدو الصهيوني يقصف بطائراته وصواريخه سماء غزة فوق رؤوسنا ليل نهار، وحلف الناتو يقصف فوق رأس أختي في ليبيا بلا رحمة، وأنا أتضرع للمولى وأتساءل:

– من منا سيطولها القصف قبل الأخرى؟

متى يهدأ قلبي يا ربي؟!! منذ النكبة لم يفرح.

وأخيرا تحقق حلمي وتمكنت أختي –بمساعدة بناتها اللاتي تحملن الشهادات العليا ويتبوأن المراكز الأولى في ليبيا ويحملن جنسيتها من طلب زيارة لي لمدة شهر.

دبت في جسدي الحياة، تجاهلت مرض السكر بنوباته، والضغط العالي بوعكاته، نسيت آلام الركبة ووطأة السن وهرولت مسرعة طائرة فوق الحواجز، أدعو الله أن لا يحبسني

ابس حتى التقينا، وكان كما رأيتم، لقد ضممتها لحضني أخيرا
ما كنت أضمها في طفولتها، وشممت رائحتها.

انقسم الناس بين مهنئ ومتصعب، ومن يلعن الحروب
الاحتلال، ووجدت الصمت أبلغ كثيرا من الكلام، فشددت
حالي واتجهت نحو باب الخروج وفي رأسي العديد من
لأسئلة.

احدة في السبعين والثانية تقترب من الثمانين.. هل سيلتقيان
رة أخرى أم أنها الأولى والأخيرة؟!

أم تموت بالمجدل الفلسطينية، وأب يموت بالسعودية، وأخ
موت بكندا، وأخت تسكن ليبيا وستموت بها!!

هل كان بكاؤهما لوحشة اللقاء أم لعضة الظلم الغبي الذي لوع
الإنسانية وشرد البشرية أربعا وستين سنة!

سواء هذا أو ذاك.. المهم أنه أخيرا.. تحقق حلم مريم!!

••

(نشرت بشبكة الألوكة ٢٤ / ١١ /٢٠١٢)
(ومجلة القصة، ومجلة حواء، ومجلة الرافد)

جارتي على الحدود

صديقتي الغالية.. جارتي على الحدود.. إعلامية ناجحة، مهمومة بالشأن الفلسطيني يؤرقها ما يحدث عندها، نتقابل يوميًا على الماسنجر نتبادل الرأي في اعتداء اليهود على غزة وعن الحال العربي المتخاذل.. تحكي لي أخبار بلدها غزة وأحكي لها أخبار بلدي مصر.. عشت معها أحداثا كثيرة تابعتها يوما بيوم.. ربما ساعة بساعة.. كبرى أخواتها تعيش مع زوجها وأولادها في كندا.. أرادت أن تزوج ابنها فلم تجد أفضل من بنت أخيها المقيم في غزة، المراسلات على الفيس والإيميلات والتليفونات أنجزت الكثير من المهام وصنعت التوافق، وما بقي إلا أن تأتي بابنها وابنتها لعمل حفل الخطوبة في غزة أمام الأهل والأصدقاء.

وجاؤوا.. وتفاجاؤوا أن المعبر مغلق فسكنوا فندقا برفح حالما يفتح المعبر، ولكن الوقت طال.. فلجؤوا للرشوة.. وكانت للطرفين.. الجانب المصري والجانب الفلسطيني بسهولة يمررون من يدفع.. قالت ندفع وندخل وننجز مهمتنا ونكسب وقتنا..

خاصة أنهم بالفعل يدفعون للفندق أموالا كثيرة..

تقريبا حضرت معهم الفرح من خلال صديقتي.. فكانت تحكي بالتفصيل عن فرح من ألف ليلة وليلة.. عددت لي من رقص ومن غنى.. ومن أولّم .. وأتحفتني بكثير من الصور لهذ العرس الأسطوري. وكما حزنت معها وقلقت معها على أختها المحتجزة خلف المعبر، فرحت معها أن تم الفرح على أكمل وأجمل ما يكون.

رضيت البنت بعريسها حتى أنها وافقت على ترك كلية الطب التي تدرس فيها، لتلتحق فيما بعد بكلية دونها في كندا.

جلست أم العريس مع أمها وأبيها وأخواتها يجترون ذكريات الماضي ويستعرضون آلام الحاضر.. ويشكون الغربة والفرقة حتى آن وقت الرحيل.. وهنا أيضا تتكرر قصة المعبر المغلق. ولم تجدِ معه الرشوة هذه المرة.. في البداية كان الانتظار والصبر، ثم بدأ القلق والتوتر، ثم بدأ البكاء.. أم العريس موظفة وانتهت إجازتها.. أخته تلميذة في مدرسة وفاتها دروسها. العريس نفسه تأخر على عمله ولا يدري كيف يكون التصرف. وانقلبت الفرحة حزنا وألما.

– وما العمل يا صديقتي؟!

- إنهم بالداخل يبكون.

صديقتي تملأ الفيس استغاثات ونداءات.. وترسل إيميلات مسؤولين.. ولا حياة لمن تنادي.

ي كل يوم وصلة بكاء تنفس عن الصدور.. عشت معهم تلك لمأساة وأنا في غاية الألم والدهشة.. ما هذه الدنيا الغريبة التي تحكم فيها البشر في مصير بشر آخرين.. شعب محبوس.. الغريب أنه محبوس من الجانب الشقيق.. وكأنهم في عش لكتاكيت لا يسمح لها أن ترى الشمس إلا في أوقات محددة حسب المزاج.

أخيرا فك الله كرب هذه الأسرة وفتح المعبر ٢٤ ساعة فخرجوا من فورهم يتلمسون الحياة، ويتنفسون الصعداء غير مصدقين.

تكررت المأساة بعد شهور، عندما جاء أبو العريس؛ ليصطحب عروس ابنه.. هو خارج المعبر والعروس ووالدها داخل المعبر كل في انتظار الفرج.. ثم خرج الأب بابنته فتسلمها حماها وطار بها إلى الحرية والانطلاق.

عشت أيضا مع صديقتي مأساة الجدار العازل.. الرئيس قاسي القلب يسد الأنفاق بجدر تدفن تحت الأرض.. وصديقتي تصرخ:

– يسدون الأنفاق التي يدخل منها لبن الأطفال.

عشت أيضا معها مأساة لقاء أمها بأختها التي تقيم في ليبيا والتي لم ترها منذ عام ١٩٦٤.. اتفقت الأختان أن تذهبا للعمرة وتتقابلا هناك، وذهبت الأخت الليبية وأدت مناسكها بـدموعها وحبسـت الفلسطينية خلف المعبر ليس في يدها إلا الدموع.

وصديقتي تناشد ملك السعودية.. وتناشد رئيس مصر الأصم.

كثيرا ما تصحو صديقتي من نومها فزعة ويتصادف وجودي.. فأسألها:

– تنامين مبكرة.. فلماذا أنت هنا الآن.. تقول:

– صحوت على صوت الطائرات تقصف فوق رؤوسنا.. أيضا أولاد أخي استيقظوا فزعين.. تأخذني الدهشة فـدائما سـماؤهم ملتهبة. والقنابل من فوقهم ليل نهار ومـع ذلك لم يتعودوا على ذلك، بل يصحون فزعين مبسملين محوقلين.. حسبنا الله ونعم الوكيل!!

تعرضت صديقتي لأكثر من اضطهاد ونقل من عملها لأنها لـم تحدد هويتها .. مع فتح أم مع حماس.. تقول أنا فلسطينية يهمني مصلحة وطني.. لا أريد أن أكون إلى هؤلاء ولا إلى هـؤلاء.. ولكن هذا لا يرضيهم.

وكثيرا ما تنصحني بهذه النصيحة:

- أنصحك لوجه الله: لا تكوني مع أحد ستجدين نفسك مخدوعة، النظام السياسي مليء بالأكاذيب مهما يكن لا تتحدثي في السياسة نهائيا، نحن في فوضى معلومات لا تصدق، والفيس بوك خرب الدنيا والله كل شبكات التواصل مستنقع للتضارب وهى وسيلة من وسائل الفوضى الخلاقة التي رفعت شعارها كونداليزا رايس. وتؤكد لي أن الفيس هو الذي أوصل الدول كلها لما نحن فيه من الضلال والضياع والفتن والأحقاد والانقسامات الكثيرة.. المهم لا تتشددي مع أي نظام نهائيا.

لست من رأيها ولكني أحترم وجهة نظرها فالعلاقة بيننا قائمة على الاحترام المتبادل، مع الاحتفاظ لكل منا بمساحة يدور فيها، ودائما أترك لها الفرصة لتعبر عن مخزون صدرها من أسى.. فهي متذمرة على الدوام.. تقول:

= نحن محاصرون برا وبحرا وجوا.. أتذكر إحدى المآسي أن سيدة كانت محرومة من الإنجاب وعملوا لها طفل أنابيب وكان في بطنها توأمان.. وعند الولادة ولدت عند الحاجز الإسرائيلى وتوفى التوأمان نتيجة تأخيرها ومنعها من الوصول للمستشفى فضلا عن شدة البرد فتوفيا في الحال.

قلت لها ذات القصة حدثت عندنا وكان سبب تأخرها في الذهاب إلى المستشفى موكب الرئيس حسني مبارك!!

وتقول:

- مصلحة أمريكا تكريس الانقسام، وفصل الضفة عن غزة.

عندنا ٣ شباب انتحروا من البطالة.. يعني مشاكل اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية لا حصر لها.

أشعر بتنهيدتها وهي تقول:

- ربما لا يجدون رواتب لنحو ١٧٠ ألف موظف هذا الشهر، قبضنا نصف الراتب اليوم.

أنا مستمعة جيدة لها حتى لو كانت كلماتها عشوائية، يكفي ما هم فيه.. ألا أدعها تفضفض وتخرج مكنونها وهو قليل من كثير.. وفوق كل هذا أضربت صديقتي تلك عن الزواج لأنها العائل الأساسي لعائلتها.. وتقول:

- نحن محرومون من دخول القدس أنا ممنوع علي أن أزورها لكن المفتي على جمعة يزورها، اليهود تمنعني وتسمح له فما السر؟!

قلت لها:

-أعلم أنكم تدعون الناس للزيارة وتعتبرونه دعما لكم!! تقول:

– الدعم له أوجه كثيرة غير الزيارة، نحن نريد دعم مال غـذاء منح دراسية لأهلنا في القدس.. الزيارة ليست دعما بقدر ما هي تشريف له.

ولا تنسى بعد كل كلام أن تقول:

– الله يخليك غيّري سيرة السياسية.. وتكمل:

– ليس كل الشعب يؤيد السلطة حتى حماس تنتقد الزيارة، وهذا المفتي كان يفتي في السابق بمنع الزيارات والآن يحلها!!

لم يبق شيء للفلسطينيين في القدس، اليهود يسـيطرون عليهـا بالكامل، حتى إمام القدس ممنوع أن يدخلها!!

ثم تقول:

– أشعر بالحسرة.. غيري السيرة.. حتى أهل الضفة ممنوعـون أيضا، ويفرضون سنًا معينة للصلاة فـي القـدس.. للرجـال، خمسين سنة فما فوق، والنساء فوق الخمس والأربعـين سـنة، القدس كلها محاطة باليهود، غيّري هذه السيرة رجاء.

صديقتي كثيرة السفر بحكم عملها.. سافرت إلـى لبنـان وإلـى المغرب وبالطبع مرورا بمصر في الذهاب والعودة.. فأستضيفها في بيتي وأنا سعيدة بها حتى يأذن الله لها بالرحيل.

ثم بدأت العلاقة بيننا تتوتر لأنها طلبت مني طلبا وألحت عليه، لم أستطع تنفيذه. فقد بدأت تلمّح تلميحات لم أفهمها في البداية كأن تقول:

مصر في السنوات الأخيرة تشترط أن يحصل الفلسطيني على تأشيرة من السفارات المصرية في البلدان العربية، السفارات تتحكم في هذا الأمر، أوقاتًا تعطى وأوقاتًا ترفض.

وتستطرد:

– أنا لما سافرت لبنان من فترة ذهبت إلى المطار ورجعونا، وقالوا: لابد أن تذهبوا للسفارة المصرية لتأخذوا تأشيرة لدخول مصر، ورجعنا من المطار أنا وزملائي، كنا وفدا وبقينا أسبوعًا حتى أخذنا تأشيرة.

– لم أفهم مغزى روايتها حتى صرحت بها.

(أريد أن أتزوج مصريا على الورق فقط لأتمكن من دخول مصر في أي وقت)

**

لا جديد عند الحب

ما كنت أتخيل ولا أريد يا من كنت حبيبي أن أفتح نافذتي فلا تطل عيني على فناء بيتك..

وما كنت أتخيل أبدا أن يصدك قلبي بهذا العنف ويأبى أن يلتمس لك العذر كما اعتاد معك.

كم هو موحش لعيني هذا الظلام المقيت، بمجرد أن قفلت الصفحة بيننا وكأن الحياة أقفرت، ولكن ما باليد حيلة هي قسوتك وإصرارك لتهوي بي من علياتي إلى أسفل سافلين.

مأجور أنت لكسري، مدفوع لإذلالي بماذا يفيدك تحطيمي؟!

فقط لأنك تلهو.. لتثبت لنفسك قدراتك في التخريب.

يمامة أنا تطير فوق السحاب، تغني للنجوم والسدوم والشمس والقمر.

أفرد جناحي لأحملك عليهما واحدة تهدهدك وتغطيك الأخرى، أظللك ببياض ريشي وأظل بك محلقة فوق الكبائر، والصغائر، واللمم .

وأنت تذكر دائما أنك رجل وأنك بشر خلقت من طـــين الأرض ولابد أن تظل مشدودا له بما فيه من بدائية دون أن تجشم نفسك عناء إزاحته من علي مقعدك.

وقفتُ هناك علي فرع أنظر إليك من فوق شجيرتي وأراك وأنت ترميني بالحجارة كي أنزل..

فأنتفض وأرف بجناحي وتشُب قدمي لكنهما تظلان ثابتتين فـــي مكانهما تأبيان مغادرة محيطك.

لا أنا أطير ولا أنت تكف عن رجمي فما عســـاي فاعلـــة وقـــد أصابني حجر في مقتل؟!

يا من كنت حبيبي جرحت قلبي وأدميت كبريائي، وأنا الأميـــرة المتوجة في مملكتي، والدرة المكنونة في سابع سرداب، ملفوفـــة بالحرير، والقطيفة، ما تعودت لمسة هواء محملة بـــالتراب ولا تلمسني أنامل خشنة هدها العذاب.

أنا اللوحة المعلقة في صدر بيتي تقدم لها التحية فـــي الخـــروج والإياب.

وأنا النجمة إذا أفل ضوءُها خرجت منها مئات النجوم تضـــيء وتدور حول النجمة الأم.

وأنت تريد أن تنتزعني من بينهم بقـوة وغطرسـة وغـرور، لتأخذني بعيدا حيث الظلام، واليأس، والجدل اللا متناهي.

يا من كنت حبيبي كفانا التجاذب إلى هنا حتي لا تجرحنا الكلمات وتخنقنا العبرات، وتُسن لنا السكاكين، والنصال، والنعال.

كفانا إلي هنا لتكون لنا ذكري نَحنُّ لها في ضمائرنا.. ترقرق لها عيوننا فترطبها بدلا من أن تحرقها.

كفانا يا من كنت نجما بعيدا، قمرا مضيئا، وأغنية حلوة صـداها البعيد يملأ كياني.

يا من غيرت كيمياء دمي كفى حتى لا ينزف دمـي عناصـرك التي ملأته وحركته وسارت به فـي عـروق فعلّمهـا النـبض الصحيح والشوق الصـحيح مـن جديـد.. لا تـركض خلفـي ولا تعذبني بعذابك.. تعذب حيث أنت، ودعني أتعذب حيث أنـا حتى نألف عذابنا ويصير من ملامحنا ونصـير منـه الهويـة والنشيد.

فأنت وإن رفضك عقلي ما زلت في قلبي خيوطا مـن نـور.. تباغتني في ذكراك بسمة جمعتنا، وتحدوني من شوقي إليك دمعة تخرج ما في قلبي من لهيب، أسفا على أيام جميلة كنت أظنهـا سيدوم إلى الأبد.

كتبتك على جبيني وكفّي قدرا، وأمليتك علي مشاعري عهدا، وألزمت القلب أن ينبض علي وقع حروف اسمك وفي اتجاهك واتضح أن اسمك ليس اسمك، وقلبك ليس قلبك.

علّمتُ العين كيف تحتفي بطلعتك وتسجل علي النني تفاصيل يومك ويومي.. وعودت لساني أن ينطق بالكلمة الحلوة التي إذا نطقتها أو سمعتها أحس كمن أخذ حقنة في الوريد، سبعة وسبعين حقنة في دقيقة.

لماذا اغتررت إلى هذا القدر وملأك الزهو إلى هذا الحد.. ونسيت خطوطي الحمراء التي رسمتها لك من أول يوم، من أول ساعة، من أول لحظة.. ترددها اسما ولا تقدرها معنى..

كلما خطوت فوق خط أرجعتك وأرجعتك.. وأنت.. لا تمل المحاولة مرات ومرات.. يا الله أيكون هذا إلى ما لا نهاية.

طوال الوقت تجردني من صفاتي التي حباني الله بها.. اتركي العقل.. دعك من الثقافة.. كوني أنثى.. كوني معي امرأة عادية، لا أريدك من برج عالٍ.. معي لا تفكري بمنطق ولا بمبادئ.

آسفة.. آسفة يا من كنت حبيبي، لا أستطيع أن أكون امرأة عادية، أنا أرفعُ من أحبُه إلى برجي العالي لا أنزل معه إلى الطين والأوحال.. أما الذي يظل متمسكا بالسفح فعليه أن يخلي سبيلي.

كيف أتنازل عن ميزاتي التي جذبتك إليّ من قبل، الآن تطلب أن أدعها!! ميزاتي التي طالما شدوت بها وسجلتها أصابعك على صفحات الماسنجر، وكلماتك الهائمة تطلب أن أدعها الآن!! ما عادت تروق لك لمجرد أنك ضمنت مشاعري وملكت جوانحي.. تحولت إلى رجلٍ مثلهم وتريدني أنثى مثلهن، ولا جديد تحت الشمس، ولا جديد عند الحب.

**

(نشرت بشبكة الألوكة وعدة مواقع إلكترونية)

كأنه الحب

لا يدري

متى لصق الموبايل في كفّه كأنه أصبع سادس ما بين الإبهام والسبّابة.. ليقوم هذا الموبايل بكل أدوار التواصل الاجتماعي.. فهو متابع جيد، وراءها حيث تكون.. في الفيسبوك، والاسكايبي، وهناك الواتس آب، والفيبر، حتى التويتر لا يخرج من دائرة الحوار والمتابعة، وكذلك الإيميل عند اللزوم، ثم الاتصال التليفوني ليجمع كل هذا في واحد.

ينال الفيسبوك الجانب الأكبر من الاهتمام غير محدّد الوقت، أو الساعة، لا يهم.. المهم أن هناك على الطرف الآخر من يستمع ويتجاوب.. لماذا يسميه الوقت السعيد، زمن تبادل المشاعر والأحاسيس، في هيئة صور ورموز وكلمات ذات صلة بالحياة اليومية أحيانا، وبالأحداث السياسية أحيانا أخرى.. في متابعة جيدة للأحداث.. وقراءة الأشعار والقصص المعبرة في شكل هُلامي غير محدد الاتجاه.

كل هذا لماذا لا يكون وقتًا سعيدا.. يصنع علاقة فريدة من النت

إلى النت أو من القلب إلى القلب.
فالكلمات لها رائحة وطعم ولون، يتأمل الحروف يرى تشكُلها، يسمعها يُحسّ بنغم حروفها، فهناك حرف للضحك، وحرف للدهشة، وحرف للتنهيدة الطويلة، وآخر للسؤال.. وفي أغلب الأحوال السكوت أبلغ من الكلام.. وهو دائما يناقش ما يقرأ.

لا تدري

متى صارت معه على موعد مستمر، ليس فيه استئذان وإنما فاصل مؤقت.. وهذا الفاصل هو اتصال معلق له عودة ثم فاصل ثم عودة بلا حساب للزمن أو لأدوات العطف.

لا يدريان

متى كانت هذه العاطفة التي حولت التواصل إلى التزام يومي.. اللقاء على مدار اليوم في دائرة لا تدري أين طرفاها.
لا يراها وردة في فازة أو في عروة جاكت تذبل بعد حين، ولا يراها جوهرة في تاج يلبس عند الحاجة ويخلع عند الراحة، بل خيط فضي يضفّر مع يومه فيلظم ليله بنهاره في خطٍ متصل ومستمر.. نسيج روحي..تواشج لا ينفصل.. وفرح وجداني.

و بحثنا عن بداية، هل نعتبرها منذ تحية الصباح؟ لنقل: إن لبداية وهو يقول: سأخرج الآن؟!! لتكن البداية وهو في طريقه إلى العمل، والحوار المستمر مع تصوير الطريق وإرسال الصور، فكأنها في سيارته تجلس إلى جواره تتابع الطريق، تستمتع بنسمة الصباح الفتية، تنتشي لرائحة المطر وهو يرسم بقطراته على زجاج السيارة، تساعده مسّاحات الزجاج في رسم قلب بداخله خريطة لمستقبل مبهم، ذاهبة معه إلى عمله.. وينفصل الخيال عن الواقع عندما يخبرها أنه دخل مكتبه!

وهذا أيضا ليس معناه التوقف بل التبادل المنظم بين التواصل والعمل، وإلا فهو الفاصل.. وينقضي الوقت المخصص للعمل، تلم حاجياته معه ليبدأ رحلة العودة مع استمرار التواصل.. ثم في بيته يستمر الكلام وهو بين أهله.. مع وصف للمكان والأشياء، وهو بين ضيوفه، يكلّمها عنهم، فاصل ليوصلهم عند الباب.. فاصل لينام قليلا، فاصل لأداء الصلاة.

يعجب بكلماتها المنظومة والمنثورة.. تعجب بتعليقاته الحاضرة .. تشعر فيها بالذكاء والحنكة وخفة الظل.

يقتبس من أغنية:

(يا حلو صبح يا حلو طل.. من أد إيه وانا باستناك وعينـــي ع اللاب والفيس باك)

تجمعهما هموم وطنيهما.. تطمئن على وطنه:

– ماذا فعل تنظيم داعش بالقرب من بغداد؟

– داعش والغبراء.. صناعة أمريكية ليس لها صلة بالإسلام، لا بسنة ولا بشيعة.

يطمئن على وطنها:

– كيف الحال بعد براءة مبارك وعصابته؟

– يطالبوننا بتعويض، أن عشنا حتى الآن، ولم نمكّنهم من قتلنـــا لنصير شهداء.. كنّا في وهم كبير.

فيعرب كلمة وهم.. الواو حرف عطف على مجهول قبله، والهم ضمير ميت مبني على آلام المواطنين.

يتفقان في أن فلسطين عربية، وإســـرائيل العـــدو اللـــدود.. وأن حماس هي الفصيل العربي الوحيد الذي يقاتل العدو الأكيد.

يتفقان ويتفقان ولا مجال للاختلاف بل الحرص الشديد على عدم الاختلاف.

يسايرها في طموحاتها.. فيسبّحان فيها ما شاء الله لهما ..

ثم ينزلها برفق عند صخرة الواقع الذي هو دائما ضنين..

والحلم إذا خرج من العقل الباطن فقد بريقه.

تحترم رأيه، تراه صائبا؛ فيه خبرة العمر، وحكمة الرجل، وانضباط الجندي، ودقة المهندس.

هل قال: أحبك؟!

قد يكون.. بقلبه، وما هو الحب غير التعود.. والشعور بالألفة أو بالوحشة..

هل تريده أن يقولها؟!

لا.. سيفقد الحلم بريقه.

هل خرج في حواره عن حدود الاحترام والتقدير؟!

لا.. حتى أنه لم ينادها باسمها المجرد، وهي لم تطلب منه رفع الكلفة.. فهي القيد الحريري الذي يضمن السمو.

هل يقلق لغيابها؟

نعم.. يناديها أين أنت يا من كل شيء في حياتي روتيني إلا أنت، ويظل يعلن حيرته.. حتى ترد، وغالبا ما يكون بسبب انقطاع النت أو خروجها من البيت.

مليون هل.. ومليون رد.. وكلها تؤكد بلا ريب.. كأنه الحب.

**

واحد منهم

الأحد:

- أين أنت أستاذة ناديا.. افتقدتك كثيرا وانتظرتك طويلا.
- مساء الخير "بلقيس" يا صديقة المساء وكل مساء.
- مساء النور.. يا أستاذة.. أتفاءل كلما أراك وقد طال غيابك.
- مشغولة ياصديقتي في كتاب جديد.. المهم كيف حالك وأولادك.. وشغلك.. وتونس الجميلة.
- الحمد لله وفقت في عمل مريح.
- أنت مجتهدة وذكية وتستحقين كل خير.
- هل الذكاء نعمة أم نقمة.. يا أستاذة؟
- نعمة بكل تأكيد.. الذكاء مهمته أن يدل صاحبه إلى الخير.. ويقود من حوله.. أما من يقولون أن فلانا يستعمل ذكاءه في الشر فرأيي أنه لم يستعمل إلا غباءه.
- لو تسمحي أحكي لك قصة.
- تفضلي
- ربما أحتاج أن أحكي معك هذا السر.. وانتظرتك من أجله..

تعرفين الأستاذ.. صديقنا المشترك.

– نعم.. أعرف أنه يعطيك درسا في اللغة العربية؛ لذا يسمي نفسه الأستاذ.

– أفاجأ به يصرح لي بحبه.

– أعتقد أنك سألتيني يوما.. هل يمكن لرجلٍ كبيرٍ أن يُحب بنتا صغيرة؟.. أهذا هو؟!

– نعم..

– ألغز هذا؟!! هو متزوج وأنت متزوجة، هو بالقاهرة وأنت بتونس، ثم أنه يكبرك كثيرا على ما نعرف!!

– عرفته منذ فترة.. وعرفت أنه على خلق كبير وشخصيته جذابة، وأيضا متدين.

– .....

– في الأول كان أستاذا فقط.. لكنه إنسان غامض.. وفي يوم وجدت شخصا بالفيس.. يحاول أن يغازلني.. فرددت عليه ردا قاسيا وحذفته.. بعد مدة قال: إنه كان هو وأراد أن يختبر أخلاقي.

– .....

– في درس من الدروس عرفني على اسمه الحقيقي وزوجته

وأبنائه..

وحكيت معهم.. وتكرر هذا كثيرا حتى حسيت نفسي واحدة من الأسرة.

– اكملي.

– ثم صار حديثه معي شخصي جدا.. ربما أعرف مشاكله ومشاريعه وما يحب وما يكره أكثر من أي أحد.. وأنا أقيل هذا.. وأناقشه في أموره، وأبحث معه عن حلول وأواسيه.. في النهاية يقول لي:

بلقيس في البداية وثقت بك.. أما الآن أنا أحبك.. والشيء الوحيد الذي يمنعني عنك أنك زوجة.

– الحمد لله أن وجد المانع.

– من يومها لم نتفق على شيء.. أنا أعرف وضعه وطريقة حياته.. وهي حياة صعبة ماديا وعاطفيا.. لا أدري ما أشعر به نحوه هل هو شفقة أم ماذا؟!

– حذاري من الشفقة.

– ربما لاحظتِ كم مرة أحظره ثم نرجع.. على أساس واتفاق أن نبقى أصدقاء كما كنا، وهو لم يسيء لي بشيء.. لكن كلما يأتي بسيرة الحب أخاف أن أنخرط في هذه المشاعر.

– يعني لا تعرفين إذا كنت تحبينه أم لا!!

– أحبه بطريقتي.. أنا أؤمن أن الحب يجب أن يكون لكثير من الناس.. أحب كثيرين مثلما أحبه.. ليس عشقا.. كما أُحبك أنت مثلا.. وأتمنى رؤيتك وأشرب معك قهوة ليس أكثر لكن لأني أعرف ظروفه ربما أحس بمعاناته.

لديه أربع بنات.. يتعب كثيرا من أجلهن.. زوجته صعبة جدا.. كل همها أنه يتحصل على المال.

إخوته الثلاثة ماتوا في سنة واحدة.. وتركوا له عيالا.. فترك لهم نصيبه من الميراث.. وأشياء أخرى كثيرة حدثني بها قبل أن يلحقه وسواس الحب.

– ولما تكلمتِ مع زوجته ماذا كان انطباعك عنها؟!

– لما أحكي معها.. حبوبة.. وطيبة.. لكن لما أكون آخذ الدرس أسمع صوتها عاليا.. حتى أنه يقطع الاتصال بيننا.. وبعدها يقول آسف النت فصل.. وهذا يتكرر كثيرا.

– .....

– مالك؟ لم تعلقي!!

– أدركني النوم بلقيس.. نتكلم لاحقا.

– هههههه أنت كشهرزاد حين يدركها الصباح؟!

– وأنت بلقيس ملكة سبأ، تقرأ ما ألقاه إليها الهدهد وتحسن التصرف.. تصبحين على خير.

الثلاثاء:

– كيفك ست ناديا؟

– الحمد لله بخير.. نريد أن نتكلم في الأدب.. وأحكي لك عن مجموعتي القصصية الجديدة.

– أخبرتيني أنك تجهزين مجموعة قصص كلها من وحي النت.. ما اسمها؟

– إلكترو مانسي.

– اسم جميل وحديث.. تلعبين على وطر الشباب؟

– لابد من مسايرة الحال.

– لكنك ترين أن علاقات النت كلها فاشلة؟!!

– في الأغلب نعم.. لكني نوعت في المجموعة.. هناك قصة "وأخيرا تحقق حلم مريم" وجدت أختها عن طريق النت بعد سنين العمر كلها.. وقصة "عالم الأثير" وجدت حبيبها بالنت بعد فراق طويل، وبها قصة رائعة عن علاقة نادرة في "كأنه الحب".

– أكتبي فيها قصتي معه.. ستكون رواية من ألف صفحة.. فقد قال لي اكتبي قصتنا.

- هههههههه.. أوعدك أني أفكر.
- كان يجب أن أشكرك على حسن استماعك.
- أنا أشكرك على ثقتك في.
- اسمه "حامد" وليس "مهند" كما يشيع.
- نعم.
- أووووه.. تعرفينه من قبل؟!.. لا تقولي إنك تعرفينه معرفة شخصية.
- لماذا يزعجك أني أعرفه.. أليس صديقا مشتركا؟! ثم أن نعم تلك تعني الإصغاء لا المعرفة.
- الحقيقة أنا أخشى عليه.. لا أريد أن يتأذى بسببي.
- اطمئني.. لا تستطيع امرأة أن تؤذي رجلا.. إذا أحبت تخلص في حبها لشخص واحد.. وهو يشاغل عشرة.. وتذكري الدعاء.. ومن غلبة الدين وقهر الرجال.
- إنه دعائي المفضل (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) لكن عمري ما فكرت فيه بهذا المعنى.

– لماذا؟! إننا نتعود؛ اي نطلب إبعاد الشر.. وهاهو يواجه الناس بوجه غير وجهه واسم غير اسمه.

– له منطقه.

– في قصة "حبيبتي من تكون" في مجموعة إلكترومانسي يكتشف في النهاية أنه لا يعرف عنها شيئا حتى اسمها.. في انتظارك غدا إن شاء الله.. الآن أدركني النوم.

الأحد:

– صباح الخير بلقيس.. مالك اليوم تأخرت عن عملك؟

– اليوم أجازة عندنا.. وأنا أذاكر عندي امتحان غدا.. معي كتاب "مصارع العشاق" لجعفر السراج.

– يا ستير يارب.. ربنا يكفينا شر المصارع.

– هو إمام حنبلي.. كل العشاق في كتابه ماتوا.. منهم من مات كمدا لأنه اختار أن يكون متعففا في عشقه.. ومنهم من مات سخطا من الله لأنه اختار طريق المعصية.. هو مجموعة أحاديث أو حكاوي.. من أزمنة وأمكنة مختلفة.. وفيه إسرائيليات.

– بالطبع عشق الإسرائليات ليس عفيفا بل موجهة لخداع العالم، لذلك يلحقنا سخط الله.. أتركك الآن لتذاكري.

– أراك تتهربين مني وتغيبين عني بالأيام.. وأنا أريد أن أحكي

معك.

- تفضلي.. احكي.

- أحترمه كثيرا.. وأحبه ليس الحب الذي يريده.. على فكر حذفته أمس من قائمة الأصدقاء.. ولن أحكي معه أبدا امتناني له.. لابد من وقفة.

- أأقول سرا.. يجعلني أتهرب منك كما تقولين.. توجد صديقة أخرى أخبرتني مثل حكايتك عنه.

- آآآه.. لا أعرف ماذا أقول.. مصدومة.. معقول يعمل هيك.

-.....

- أي رجل يمكنه أن يحاول مع أكثر من واحده، ولكن ليس لدرجة أنه يعرفها بأهله، ويحكي لها مشكلات كالميراث والطلاق وغيره.. يعني يتاجر بخصوصيات عائلته.

- لا أعرف إن كان أخبرها بخصوصيات عائلته.!!

- يعز علي أنه يربي أربع وردات ماشاء الله، ثم يخسر كل شيء لأجل أشياء تافهة.. أما يتقي الله فيهم.. ألا يخاف أن يأتي من يتهكم على بناته؟ الدنيا دوارة، يوم إلك ويوم عليك.

- أتبكين؟!!

- لا.. فقط حزنت لأجله وليس عليه كان بودي أن يكون أحسن

ن هيك.. لن أغفر له أنه حاول جاهدا أن يهينني رغم احترامي له.

- اهدائي.

- تذكرت الآن.. قبل مدة كان قد كتب كلمة لا أذكر بدايتها فيها اسمي.. فعلقت امرأة مغربية، وأنا علقت بعدها بصورة فيها قلوب وكتبت تحتها أهذه لي؟ وجدت السيدة حذفت تعليقها ثم حذفت صداقتي.

- لماذا؟!!

- سالته قال: لا أدري ولم ألحظ.. سألتها هل أسأت لك؟ قالت: لا.. ثم بدأت تدافع عن نفسها وتتكلم عن تعليق غريب مع الأستاذ وأنها لا تحب المشكلات.. أنها امراة محترمة و.. و.. فقلت لها: لماذا تبررين؟! أنا لم أتهمك بشيء.. اضطربت وقطعت الحوار بحجة أنها في العمل.

- ألم تفكري في كتابة القصة كما قال لك.

- ليس سهلا كتابتها.. ومن الصعب ذكر التفاصيل.. "ميخائيل نعيمة" لما كتب سيرته الذاتية بعنوان "سبعون" قال: إنه سيكون أمينا وسيذكر كل شيء كما هو.. لكنه وجد بعض الأسرار يستحي من ذكرها بينه وبين نفسه.

- ترين أنه من الصعب أن يكون الكاتب صادقا مع نفسه؟!!

-نعم.. وسأكون قاسية عليه.. دائما ما يقول إن تفكيري غريب وإني متعجرفة.. هل أخذ على نفسه أن يكسر شوكتي.!!

- يا عزيزتي.. "لا جديد عند الحب".. كما جاء في قصة المجموعة.

- الشيء الذي ربحته منه أني تعرفت عليك.. وقبل أن تقولي: أدركني النوم ونحن في الصباح.. أقول لك شكرا على وقتك.. وإلى اللقاء.

الثلاثاء:

- صباح الخير بلقيس.

- أهلين.. يوم سعيد إن شاء الله.. بكرة أول أيام الأجازة.. أرتاح أخيرا لبعض الوقت.. أجازة الشتاء خمسة عشر يوما.

- حلو.. استمتعي بوقتك.

- أووه ستكون كلها مذاكرة.. بعدها مباشرة عندي امتحانات.. آخر امتحان بمسيرتي الدراسية.

- المذاكرة متعة في حد ذاتها.

- نعم.. وقراءة قصصك أيضا ممتعة..

قرأت القصة "لا جديد عند الحب".. تسلم يدك.. بها أشياء كثيرة

لمس واقعي مع مهند.. أقصد حامد.

- تسلمي.

- كلما فكرت في حالي أجد أنني ما قصدت أن أصيد أحدا.. وجدت كثيرين يريدون اصطيادي.. وكونت انطباعا عن مصريين.. توجد منطقة في الصعيد اسمها سوهاج.. الرجال فيهم دماثة وحسن خلق.. عرفت اثنين من أصدقائك.. ناس حترمون أنفسهم ويحترمون غيرهم.. مهما قلت ما أقدر أوفي حقهم في المدح.

ما القاهريون.. أو الذين يعيشون في القاهرة.. حذفت منهم ستة آخرهم حامد.. ذئاب ويدّعون التدين.. ألديك تفسير لذلك؟

– أنت بعيدة تدركين الفروق.. بالنسبة لي أقول تونس الجزائر المغرب ولا استطيع الربط بالمحافظات مثلك.

– عرفت حامد.. رجل في الخمسين.. وشخص آخر جنرال في الجيش أيضا في الخمسين.. يتكلمان ذات اللغة.. حتى أني أشك أنهما واحد.. الاثنان يمثلان دور الحبيب العاشق الولهان.

– لا أعرف ماذا أقول؟!

– أحيانا أفسر هذه التصرفات بأن أغلب العرب يتصورون أن المجتمع التونسي متحلل أخلاقيا.. وهذا ما يشجعهم.

– لا لا يا عزيزتي.. هو منهج رجالي صرف.. ليس لتونس دخل به.

– كلهم يشتكون من نسائهم.. وأن الزوجة لما ترزق بأولاد.. تصرف اهتمامها لأولادها وتنسى الزوج.. ولاحظت أن لديهم وقتا كبيرا على

النت فأين الزوجات؟!

– تقوم بمسؤلياتها.

– كثيرا ما أسأل نفسي.. ما الذي يجعل رجلا يشتكي زوجته لرجل غريب أو امرأة غريبة؟!

– لابد من حجة ياصديقتي لجذب الضحية.. والحقيقة أن الزوجات مطحونات في البيوت.. تقمن بكل الأدوار وهو لا ينسى دور سي السيد.

– لما أرسلت لك طلب صداقة.. كانت مشكلة.. قال: كان يجب أن أستشيره.. وهو يستشيرك.. وإنه لا يصح أن نقتحم أحدا هكذا.. وأنه لابد أن أعتذر له وأحذفك.

–.....

– رفضت وقلت له لا أؤمن بقوانينك.. بعدها طلب ما أحكي معك.. أساله لمه يقول: نفذي ولا تسألي.

- اتفقنا أنه "لا جديد عند الحب" يظل يتودد إليها مادحنا صفاتها شخصيتها وتفردها، ثم عند الحب.. ينبري سي السيد.. وتبدأ رحلة تحطيم الأنثى، وإنزالها من برجها، وسلب مميزاتها.

- وكان هذا يزيدني إصرارا أن أتعرف عليك أكثر.. وكنت ساله هل هي امرأة سيئة وتخشى عليَّ منها.. يقول: لا.. هي إنسانة محترمة.. وراقية جدا.. لدرجة ما تقدري توصلي لها بحجرفتك هذه وتسلطك.

- .....

- ولما قال لي اسمه الحقيقي.. كان يؤكد عليَّ أن يبقى سرا وخاصة على ناديا.. أسأله لمه؟ يقول: لا تستفزيني بأسئلتك.. أنت امرأة متسلطة وتحبين أن تعرفي كل شيء.

- هو من اعترف لك باسمه؟!!

- لا عرفت اسمه أولا بذكائي.. كان يعطيني درسا.. وسمعت زوجته تناديه "حامد".. فقلت له: "مهند".. من الآن لن أناديك "مهند" لأنه ليس اسمك.. كيف "مهند" وزوجتك تناديك "حامد"؟ أحرجته.. فقال: نعم.. اسمي حامد.

- وما رأيك الآن؟

- على أية حال كانت تجربة حلوة.. تمنيت أن نظل أصحاب..

لكن تأتي الرياح.

تكملة في المساء:

- مصداقا لقولك "لا جديد عند الحب" كان دائما يقول لي: الرجل لا يحب الست الذكية.. وأنت ذكية زيادة عن اللزوم.. أقول لـه: لم أطلب منك تحبني.

- لماذا أرهقت نفسك بهذا الجدل؟!

- الحقيقة لا أمل من الحديث معه.. وصرنا أصحاب فعلا.. ثـم اكتشفت فيه إنسانا آخر.. وفي النهاية خربها بسيرة الحب.

- وترين فيه ذكاء يساوي ذكائك.

- وهو إنسان بسيط جدا ويعترف بنقصه، ولكنه طموح.. أظنـه لا يقدر أن يعيش في الواقع.. ما يعيشه افتراضيا.

- أهذا مبرر؟

- مرة قلت له اعتبرني بنتك الكبيرة.. ودع علاقتنا حلوة كعلاقة أب وبنته قال: أخجلتيني، وقال: بعد كل ما حصل مني تريـدين أن أكون أباك.. قلت له: سامحتك.. قال: لا أستطيع أن أسـامح نفسي.

- تمام.

- ومرة قال لي: أنتِ تنتقمين لكل الستات اللاتي عرفتهن..

لت له هل أنت زير نساء؟!!.. زعل.. وحذفني كم يوم.

- أنت أيضا حذفتيه أكثر من مرة.

- آه.. لما يزيد في إلحاحه.

- وترجعين.

- أقول ربما تغير.. وهو يعطيني عهدا أنه لا يعيدها.. لكنه لا يصبر ويرجع لنفس الحال.

- يعرف أن الإلحاح هو الذي يأتي بالنتيجة المرجوة.

- تمنيت إخراجه من الدوامة التي هو فيها وأنمنها.. لا أعرف كيف أساعده؟!

- تضحكين على نفسك.. ربنا يتولاه.

- الله يهديه.. مرة حذفته لمدة أسبوع.. ولما رفعت الحظر.. لاحظت غياب عدد من صديقات صفحته.. من عدم تعليقاتهن على موضوعاته وكن يتغزلن فيه علنا فسالته.. قال حذفت مائة.. وقال: كرهتهن بسببك.. ما في واحدة تسوى بعدك.. إذا خسرتك.. لا أريدهن.

- يريدهن معك إذن!! هههههه.

- لا أعرف كيف!!.. لم أفهمه.

- إذا أنت تعرفينه من قبل أن تعرفينني بكثير.

– نعم.. كنت أحكي معه على الفيس.. لكن بعدما عرفتك. وسألتك عنه قلت لي أحسبه على خلق.. أنت التي شجعتيني على أن آخذ درسا دون خوف منه.

– هيا تشجعي واذهبي للنوم.

– هههه لقد أدرك شهرزاد النوم.

– شهرزاد أمامك مستمعة فقط.. انقلبت الأدوار.. تصبحين على خير.

الخميس:

– مساء الخير يا أهل الخير.

– أهلا "بلقيس".. سيدة المساء والسهرة.

– أنا خائفة عليه من واحدة.. أعرف أنها ستخرب بيته.

– واحدة بعينها؟!!

– نعم المغربية التي حكيت لك عنها.. حاولت كثيرا أبعده عنها وفشلت.. هي نفس الست التي حذفتْ تعليقها.

– ما بها؟

– تعرفين شيئا عن المغاربة؟

– لا.

– انظري؛ أغلب الجزائرين بهم عنف رهيب، لكن جدعان..

صادقين.

الليبيون متهورون وفيهم هبل غريب، لكنهم لا يعتدون على أحد ما لم يبادر هو بالاعتداء، لو أكرمتهم بجرام يكرمونك بقنطار.. لو شتمتهم ولو بالخطأ يقتلونك شر قتلة.

التوانسة مسالمين لأبعد الحدود حتى أنهم يوصفون بالجبن.. لا يردون العنف بالعنف.. ويتنازلون بسرعة.

المغاربة خبث رهيب.. شياطين في ثوب ملائكة.

- والمصريون؟!

- المصريون كلامهم عسل.. لكن مواعيدهم غير منضبطة.. يقول لك نتقابل الساعة السابعة يأتي في العاشرة.. تؤمنين بالسحر؟

- المفروض أن أؤمن به لكن لا أهتم للأمر.

- المغاربه حياتهم اليومية السحر.. لديهم قدرات رهيبة.. يخربون البيوت.. يخرجون به كنوزا من الأرض.. يسخرون الجن.

- يا ستير يارب.. حتى على البعد؟!

- مرة حكى لي إنه تعرف على ست مغربية.. أرملة.. غنية.. معها ولد.. معلمة، تريد زوجا مصريا.. وطلبت منه أن يبحث

عن شخص مناسب.

– امممممممم

– في ذات الوقت بدأت هذه السيدة تظهر معه بالتعليقات.. فأرسلت لها طلب صداقة وحكيت معها.. وبعد ما صار ما صار وحذفتني.. قلت له: أنت جد تحبني؟.. قال: نعم.. قلت: ممكن تثبت لي.. قال: كيف؟..قلت: تحظر هذه السيدة.. قال: لا.. قلت له سأرحل أنا ولن تجدني ثانية.. قال: اذهبي.. لا أقبل أن يُملى عليَّ ما أفعل.. فقلت: مع السلامة.. قال: روحي وما ترجعي أبدا.. أنت متعبة ومتعجرفة وتحبين الامتلاك.. ولا تعرفين للحب معنى.

–.....

– ست ناديا.. أنا خائفة عليه منها.. تسعون بالمائة ستخرب بيته.. وستأخذه من أولاده.. زوجته طيبة وكان يمتدحها كثيرا.. ويقول: إنها شريكته في السراء والضراء.. ولولاها ما كان يتحمل صعوبة الحياة وأزمات كثيرة مرا بها معا.. ولها الفضل في نتائج الدراسة الممتازة للبنات.

– غريب!!..أما كان يشكو منها؟!!

– من نواحٍ أخرى؛ أنها لم تجعله يحبها، وزواجهما تقليديا..

جافة معه، وكل همها الأولاد.. وتنام وقت فراغها.

- الرجل يرى إلا نفسه، لم يُقدر تعبها.

- أقول له لا تلومها، ربما تكون مقصرا معها.. ربما لا تمتدحها، لم لا تأتي لها بهدية بسيطة.. يقول: المادة لها جانب مهم حتى في العاطفة.

- ويقعد على الدت ليتلقى العاطفة مجانا!!.. على كل هو لم يخدعك خاصة بعدما عرفت أنه يوزع عواطفه على مائة دفعة واحدة.

- كان يقول: إنهن صديقات مقربات فقط.. ما كنت أعرف أنه يوزع عليهن العشق.

- رغم أسلوبك الشيق في الحكي لا تملكين له شيئا.. ادعي له وكفى.

- كان يمدح أسلوبي ويقول لي اكتبي حكايتنا قصة.

- وأنا أيضا أشجعك.. اتركيني أنام واكتبي أنت القصة.

- أخاف أن أحبه لو كتبتها.. أنام أنا أيضا وأنشد السلامة.. تصبحين على خير.

السبت

- مساء الخير ست ناديا.. أراك أونلاين وكلمتك ولم تردي.

- أهلا بلقيس مساء النور.. الجهاز مفتوح دون رفيق.. كان عندنا ضيوف توا مشوا.

- عملت صفحة فيس جديدة أراقب بها الهدف.. وطلبت صداقات من أصدقائه.. كنت أحكي مع واحد منهم الآن.. سأنقل لك الحوار.

- مرحبا.. من أين أنت.

- من اللياقة تعرف حضرتك بنفسك الأول قبل أن تبدأ التحقيق!!

- اسمي عمر.. مدرس ثانوي.

- تشرفنا سيدي الكريم.. أنا من تونس.

- مراحب بأهل تونس.. ماذا تعملين؟ مدرسة؟

- نعم.. أستاذة تعليم ثانوي.

- ما شاء الله ما نوع اللغة العربية عندكم..النحو والصرف وغيره كيف تدرسونها.

- اللهجة التونسية المعتمدة في التدريس، وندرس كل ما يخص اللغة.. نحو صرف بلاغة أدب قديم وحديث ولسانيات.

- ما المقصود باللسانيات.

- فيك تقول النحو بطريقة حديثة.. تشبه طريقة ابن جني مثلا.. لكن بمصطلحات ومفاهيم جديدة.. مثل التداولية العرفانية،

والتداولية المدمجة.

- أنا لا أعرف شيئا عن تونس ليتك تكلميننـــي عنهـــا؛ نفســـها أولادها ستاتها.

- الأحسن تكتشف وحدك.. سأصورهم كملائكة.. لن أذم نســـبي بالطبع.

- أحس أنك متضايقة من شيء لو تحبي تقولي أسمعك.

- أنصحك يا أخ.. أن تهدأ قليلا.. أدرس أســـئلتك الأول، ومـــا تسأل سؤالا في العلم وتثنيه بسؤال شخصي.. في حـــين يكـــون الطرف الثاني ما انتهي من جوابه على السؤال الأول.. هذا يعني أنك متعجل لما تقصده، وما همّك كيف هي اللغة في تـــونس أو غيرها.. ثالثا ما في أي دليل يقول أني منزعجة.. فحكمت أنـــي متضايقة وتريد أن أحكي ما يضايقني والتعارف لم يمـــر عليـــه دقيقة.. أفهمت يا سيد عمر.

- هههههه ما هذا يا "بلقيس" تُطلعين عصبيتك على الناس؟ لماذا لم تتجاهليه وكفى؟

- لابد أن يفهم.

- "بلقيس" حان الوقت لأقسو عليك.. أنـــت تضـــيعين وقتـــك.. ركزي حبيبتي.. لو تكلمت مع الهدف بهذه اللهجة يعرفك فورا..

شخصيتك واضحة، ولهجتك واضحة، ثم أنك من البداية عرفت نفسك أنك من تونس فما جدوى الخفاء وصفحة جديدة ومراقبة الهدف!! هل تملكين الوقت لهذا كله؟ انتبهي لدراستك أفضل.. واتركيني أُصلي العشاء تأخرت عنها لوجود الضيوف.. سلام شهر زاد.

- تصبح على خير شهرياري الجميل.

الاثنين

- صباح الخير يا "بلقيس".. لعلك اليوم أفضل كثيرا.
- صباح النور أستاذة.. الحمد لله بخير.
- ما هذا الفرح الذي على صفحتك.
- في تونس من حقنا نفرح.. بل من واجبنا أن نفرح.
- بالتأكيد تونس جميلة.. وعقلها راجح.. ومن تونس الخضراء تأتي البشائر.
- أمس الانتخابات الرئاسية.. والليلة إن شاء الله النتيجة النهائية.. ومهما كانت النتيجة نحن فرحون لأننا أجرينا انتخابات ديمقراطية ونزيهة.. والذي يفوز الله يعينه ويقدر يخدم البلاد.
- أمس ونحن نتكلم أين ذهبت؟!
- لا أعرف.. نسيت.. قد أروح لأي مكان في أية لحظة..

ولما أقوم أترك كل شيء شغال.. زوجي أحيانا بعد ما يقفل اللاب يعطيني درسا في الحفاظ على الطاقة والكهرباء والفلوس.. فأقول له: الله يديمك فوق راسنا وتروح الطاقة والفلوس وجودك يكفي.. شيء من الدبلوماسية.

– هههه.. تعرفين في الدبلوماسية!!

– فن الكذب كما عرفها أحد الفلاسفة.

– ولمَ كان الدرس القاسي الذي أعطيته للرجل.. لماذا ما استعملت الدبلوماسية؟

– الدبلوماسية تستعمل مع من نريد التواصل معهم.. هذا الشخص لا أريده.. اليوم أرسل لي صورة أسد ولم أرد بعد.

– هههه أنت أسد؟!

– لا أعرف ماذا يقصد.. كنت سأقول له: الأسود انقرضت وما بقيت إلا الذكور يترصدون بعض الإناث.. أفكر كيف أرد عليه.

– رأيي لا داعي للعداوات، وانتبهي أصدقاء الفيس يقولون لبعضهم البعض تجاربهم.. ويفترون وهم يظهرون عنترياتهم.

– العقلية الذكورية مسيطرة على مجتمعاتنا العربية.. كلهم ذكور لكن الرجالة.. يفتح الله.

– خذي اقرائي قصة "عالم الأثير".. البطلة جلست على النت

تتعرف على أحوال الرجال، ستتعرفين على نماذج منهم.

- هيك القانون في مصر.. البنت لأمها والولد لأبيه؟

- لكل طفل سن معينة للأب.. فيأتي سن الولد فيأخذه والبنت قد تبقى مع أمها إذا خيرت واختارت الأم.

- في تونس الحضانة للأم.. بنات وأولاد للأم.. والأب يدفع غرامة ونفقة شهرية للأولاد وللأم ويوفر البيت.. وما له الحق أن يأخذهم أبدا إلا في حالة واحدة.. إذا كان الطلاق نتيجة قضية زنا ثابتة على الأم.. وثبوت الزنا على الأم يكون بأن تعترف هي بذلك.

- قانونكم يخدم الأب ويوقف حال الأم.. الأب لا يريدهم وهي تشقى بهم.

- أغلب المطلقات يتزوجن وأولادهن معهن.. الأب يصرف على أولاده وتسقط عنه نفقة الأم فقط.

- المهم أن يرضى الطرفان.

الثلاثاء:

- أنني أنهيت القصة.. هل كان يبحث عنها بالفيسبوك.. أم كان يتصيد فرائس فوجدها في طريقه.

- لا داعي لسوء الظن.. المهم أن تكون عجبتك القصة..

من الذي فاز بالانتخابات.

- الباجي قائد السبسي.. كل من انتخب السبسي يعرف أنه مجرم، وأنه زور إنتخابات ١٩٦٧ ويعرف أنه نفى اليوسفيين وعذبهم.. انتخبوه لأنه الحل الوحيد أمام قفل الحدود التونسية في وجه الإرهاب الآتي من ليبيا والجزائر.

- المرزوقي قال كلمة حلوة.. عن تسليم السلطة.

- المرزوقي حقوقي ومناضل ولكنه مريض عقليا.. وأمام ضغوط حزب النهضة تواطأ معهم.. حتى أن حزبه انقسم إلى خمسة أحزاب.. كلهم خرجوا عنه.

- خمسة أحزاب من حزب واحد؟!!

- نعم.. وقضية اللاجئ الليبي البغدادي المحمودي كرّهت التوانسة فيه.. الحكومة رفضت تسليمه للسلطات الليبية لأنه ليس فيها حكما

عادلا والمعروف أنه سيعذب.. لكنه سلمه خلسة مقابل الأموال التي تقاسمها مع حزب النهضة وأنكر تسليمه إلى أن انكشف أمره بجهد مجموعة من المحامين.

أجمل القصور في تونس بيعت لخليجيين وقطريين بأسعار رخيصة.. بعد أن كانت قبلة للسياح.. ومعالم ثقافية يدخلها كل طالب وتلميذ ورجل تعليم تونسي مجانا.

- دائما الاختيار يكون بين مكروه ومذموم!!

- انظري صورة كاريكاتورية على صفحتي.. التونسي بين المطرقة والسندان.. الأسلحة التي دخلت تونس فترة حكم المرزوقي رهيبة جدا.. بعضها لا يمتلكها الجيش التونسي.. أرسل الإتحاد الأوروبي هبة للأمن التونسي واقيات من الرصاص.. سمعنا أنها وصلت ولم تسلم لرجال الأمن.. وبعد عملية ضد الإرهاب مات فيها عدد من الإرهابيين اكتشفنا أنهم يمتلكون هذه الواقيات بختم الاتحاد الأوروبي.. وبعد البحث تبين أن وزارة الداخلية مخترقة.. وهذه الواقيات بدلا من أن تسلم لرجال الأمن سلمت للإرهابيين.

- يمكنني القول "الحكومات عند بعضها"، فالحال من بعضه يا عزيزتي.. مع اختلاف نظرتي ونظرتك للأمور.

- عدا أنه سكير عربيد.. بيات ليله يسكر والحراسة عليه مشددة مخافة أن يقتل نفسه، لأنه حاول هذا كثيرا عندما يكون في نوبة عصبية شديدة.. زوجته أرسلت تقريره الطبي من فرنسا لكن

النهضة الحزب الحاكم أنذاك أخفاها.. حتى صار الرئيس تابع لحزب النهضة وليس لحزب المؤتمر.

الآن النظام برلماني.. وفيه خمسة أحزاب ممثلة إضافة إلى مستقلين.. من بينهم حزب النهضة الإسلامي، هو الحزب الثاني الممثل في البرلمان.. لا أحد يقدر أن ينفي الإسلاميين أو غيرهم.. لذلك اخترنا "الباجي".. لأنه توجد ثغرة لا يمكن أن يكسرها غيره.. وليس حبا فيه.

- أرى أن الباجي أظلم، وعلى الباجي تدور الدوائر.

- هههههههه

- هل للعسكر دور في هذه الانتخابات؟

- العسكر لا يشارك في الانتخابات.. يؤمنها فحسب.. هم يحرسون مكاتب الاقتراع.. وزارة الدفاع ووزارة الداخلية ليس لهما أي انتماء سياسي.. جربنا انقلابات الجنرالات.. وكلما مكثوا في السلطة أكثر استبدوا بالناس أكثر.. "بن علي" كان جنرالا وانقلب على الحبيب بورقيبة.. متى تتخلصون من حكم العسكر.. وتجرون انتخابات ديموقراطية حرة؟!!

- دعواتك.. نتمنى.. رغم أن انتخاباتكم كانت شبيهة بانتخاباتنا الأخيرة.. الشباب عزف عن الاقتراع وغيابه كان ملحوظا.

- نعم.. رأيهم أن المشهد ضبابي.. ولم يعجبه الاثنان ففضل عدم النزول.

- وأنت أكيد انتخبت الباجي بتوجهك العلماني.

- قبل ثلاثة وعشرين يوما كان الدور الأول.. وكان فيه سبعة وعشرون مرشحا.. فلم أعطه صوتي.. في الدور الثاني ما في حل غيره.

- لنا الله جميعا.. وماذا عن صفحتك الجديدة صادت من؟!

- صادت الهدف.. قلت له أنت تكتب كثيرا عن الحب.. هل أنت عاشق؟

- ورد.

- قال: نعم وحبيبتي تركتني.. قلت له: لماذا تركتك؟! قال: لأنها متعجرفة قوية ومتسلطة.. فسالته: لمَ أحببتها بهذه الصفات.. قال: لأنها التي غيرت فكرتي عن النساء.. معها أحببت النساء واحترمتهن بعد أن كنت أكرههن.. قلت له: الله يكون في عونك وخرجت.. خفت إن تكلمت أكثر يعرفني.

- "بلقيس" صدقيني لقد عرفك.

- حدسه قوي لهذه الدرجة!!

- لا أنت مكشوفة لهذه الدرجة.. لا تلعبي بالنار..

قرري ماذا تريدين لا أحد ينفعك غير نفسك.

– أريد أن أكسبه كصديق.

– لن تكسبينه صديقا بعد أن وضع في رأسه غير ذلك.

– لا يمكن أن أكون على علاقة افتراضية مع أحد.. هذا جنون.

– الذي لا يحترم رغبتك اتركيه.. هذا رأيي قلته سريعا ومختصرا لأني أريد أن أقوم.. سلام حبيبتي خدي بالك من نفسك.. اقفلي وارتاحي.

– تصبحين على خير وسعادة.

– سؤال أخير.. متى ترفعين عنه الحظر؟!

••

المؤلفة في سطور

نادية كيلاني:

ـ عضو اتحاد كتاب مصر/ عضو رابطة الأدب الإسلامي/ عضو نقابة الصحفيين /عضو مجلس إدارة نادي القصة/ عضو مجلس إدارة نادي الأدب بثقافة الجيزة/ عضو جمعية الأدباء.

ـ معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية.

المؤهل: ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية (كلية دار العلوم).

العمل: صحفية بدار الهلال/ وموقع المشهد الإلكتروني.

الإصدارات:

القصة:

ـ(حب لم يعرفه البشر)- رواية – المؤلفة ١٩٨٧.

ـ(اتهام) ٣٣ قصة– الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧.

ـ(إحراج) ٢٢ قصة– سلسلة الكتاب الفضي بنادي القصة ٢٠٠١.

.(إلكترومانسي) ١٥ قصة من وحي النت ٢٠١٥.

.(عيني عينك) ١٨ قصة – المؤلفة– ٢٠١٦.

.(عمتي.. معزوفة أبدية)١١ قصة– مكتبة جزيرة الورد للطبع والنشر ٢٠١٦.

.(أشجان) رواية– ٢٠١٧

.(إبليس في أجازة – مسرحية)– دار الصداقة للثقافة والنشر. إلكتروني ٢٠١٠.

الشعر:

ـ (بين الغيوم والقمر) – ديوان – مكتبة الآداب– ٢٠١١

ـ (طفولة المطر) ديوان – مكتبة جزيرة الورد– ٢٠١٧

تحت الطبع:

ـ (محمد وصاحباه) سيرة الرسول وصاحبيه شعرًا ونثرًا..

كتب أخرى:

ـ (الأبراج) (بحث فى علم الفلك) مركز الراية للنشر والإعلام ١٩٩٦.

ـ (أيام مع يحيي حقي) – سيرة ذاتية غيرية– المؤلفة ٢٠٠٥

ـ (الحجاب رؤية إسلامية دائمة): ردا على كتاب (الحجاب رؤية عصرية) دار اسلام شمس للنشر. ٢٠٠٨.

ـ (احترم نفسك) دار الصفا للنشر والتوزيع ٢٠١٥.

وللأطفال:

ـ (الأستاذ فوازيرو: اسمك معلومة وفزورة)– الهيئة العامة للكتاب من بداية من ٢٠٠٤ ومستمرة حتى الآن.. صدر (تسع وثلاثون اسما في ثلاث عشرة جزءا) تعد موسوعة في معنى الأسماء في اللغة والعلم والتاريخ والصناعة والتجارة وتداعي معانيها.

ـ (مغامرات ندي) ٩ قصص– عن سلسلة الأولاد والبنات– دار الهلال. ٢٠١٣.

ـ (جولة مع عروس النيل: عشرة أجزاء) سلسلة الأولاد والبنات– دار الهلال

٢٠١٥

ـ (مشاكس والشهور الميلادية: ١٢ جزءً). دار الصفا .٢٠١٧ .

تحت الطبع:

ـ (امم أمثالكم) مجموعة على لسان الحيوان والطير .

ـ (ولحم طير مما يشتهون) قصص متنوعة.

ـ (سلسلة فضائل الشهور العربية: ١٢ جزءً) .

وعدد من أغاني الأطفال.

دراسات إسلامية:

ـ (عجائب سورة البقرة) ـ (عجائب سورة النور) ـ (عجائب سورة العنكبوت)

ـ (الإمام مالك بن أنس)-(الإمام أبو حنيفة النعمان)- (الإمام أحمد بن حنبل).

ـ (الإيتيكيت في الاسلام) ـ (حقائق مذهلة في جسم الانسان) ـ (موسوعة الدعاء المستجاب) كلها تصدر عن مركز الراية للنشر والإعلام.

أعمال إذاعية:

سهرات درامية بعنوان:

ـ (أمي ولكن) - البرنامج العام.

ـ (السلطان والراعية) -صوت العرب.

ـ (ابنة المليونير) البرنامج العام.

ـ (عاشت الأسامي) برنامج رمضاني ثلاثون حلقة- البرنامج العام.

قرى الكثير من القصص بالبرنامج الثقافي.

دراسات عن المؤلفة:

ـ (هؤلاء كتبوا للأطفال) إعداد «محمود قاسم» المجلس الأعلى للثقافة- المركز القومي لثقافة الطفل-١٩٩٩).

ـ (سيرة أدبية على أريج صدانا)- شبكة صدانا الثقافية- الجزء الأول.

كتابات نقدية

.(القصة القصيرة المعاصرة- ٢٠٠١) «دكتور صابر عبد الدايم» دراسة لقصة إحراج.

ـ (اتجاهات جديدة في القصة المعاصرة) أبحاث مؤتمر القصة- اتحاد الكتاب يناير- ٢٠٠٨

ـ (هموم القصة القصيرة-٢٠٠٨) «دكتور جمال عبد الناصر» كتابات الاتحاد.

ـ (القصة امرأة- ٢٠١٠) «محمد محمود عبد الرازق» الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ترجمة معجم البابطين للشعر-الطبعة الثالثة ٢٠١٣.

ـ (هن في قلب مصر) «فاطمة الزهراء فلا» مكتبة جزيرة الورد. ملامح بعض الشخصيات المعتبرة.

* ترشح الكتب في القائمة البيليوجرافية المعيارية للكتب المختارة لمكتبات المدارس منذ ديسمبر- ٢٠٠٥ وحتى الآن.

nadiakelany@windowslive.com

http://nadiakelany2012.blogspot.com

الفهرس

أرامل النت..... ٥
يالك من أخ..... ١١
السباق العالمي..... ١٩
حبيبتي من تكون..... ٢٥
أما زلت تذكر؟..... ٣٣
لماذا ياترى..... ٣٧
بريق السراب..... ٤٥
فارس بلا جواد..... ٤٧
عبق التواصل..... ٥١
عصفوري هناك..... ٦٣
عالم الأثير..... ٧٧
وأخيرا تحقق حلم مريم..... ٨٩
جارتي على الحدود..... ٩٩
لا جديد عند الحب..... ١٠٧
كأنه الحب..... ١١٣
واحد منهم..... ١١٩
المؤلفة..... ١٤٨